الدورة الشرعية العاشرة

المقامة في

جامع الصحابي الجليل
عتبة بن غزوان رضي الله عنه

حي الإتصالات بالدمام

من٨ الى ١٣ شعبان من عام ١٤٣٢

كتاب الدورة

رسالة

شرح حديث
(ما ذئبان جائعان)

للحافظ ابن رجب الحنبلي المتوفى سنة 795 هـ

شرح وتعليق الشيخ الدكتور

محمد بن هادي المدخلي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربِّ العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين ، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين .

قال الشيخُ الإمامُ العالِم العلامة شيخ الإسلام بقيَّة السلفِ الكرامِ زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن الشيخ الإمام شهاب الدين أحمد ابن الشيخ الإمام ابن رجب البغدادي الحنبلي رحمه الله تعالى :

أخرج الإمامُ أحمدُ والنسائيُّ والترمذيُّ وابنُ حبان في « صحيحه » من حديث كعبِ بنِ مالك الأنصاري ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال : « ما ذئبانِ جائعانِ أُرسلا في غنمٍ بأفسدَ لها مِن حرصِ المرءِ على المالِ والشرفِ لدينه » .

قال الترمذيُّ : حسنٌ صحيح .

ورُوي من وجهٍ آخرَ عن النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- من حديث ابنِ عمرَ وابنِ عباس وأبي هريرة وأسامة بن زيد وجابر وأبي سعيد الخدري وعاصم بن عدي الأنصاري رضي الله عنهم أجمعين .

وقد ذكرناها كلَّها والكلام عيها في كتاب « شرح الترمذي » .

ولفظ حديث جابر ﷺ : « ما ذئبان ضاريان باتا في غنمٍ غابَ رعاؤُها بأفسدَ من حبِّ الشرفِ والمالِ لدين المؤمن » .

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما : « حبِّ المال والشرف » بدل « الحرص » .

فهذا مثلٌ عظيمٌ جدًّا ضربه النبيُّ- صلى الله عليه وآله وسلم- لفساد دين المسلم بالحرص على المال والشرف في الدنيا ، وأنَّ فسادَ الدين بذلك ليس بدون فساد الغنم بذئبين جائعين ضاريين باتا في الغنم ، قد غاب عنها رعاؤها ليلا ، فهما يأكلان في الغنم ويفترسان فيها .

ومعلومٌ أنه لا ينجو من الغنم من إفساد الذئبين المذكورين والحالة هذه إلا قليل ، فأخبر النبي ﷺ أن حرصَ المرء على المال والشرف لإفساد لدينه ليس بأقل من إفساد الذئبين لهذه الغنم ، بل إما أن

يكونَ مساويًا وإما أكثر، يشيرُ إلى أنه لا يسلم من دين المسلم مع حرصه على المال والشرف في الدنيا إلا القليل، كما أنه لا يسلم من الغنم مع إفساد الذئبين المذكورين فيها إلا القليل.

فهذا المثل العظيم يتضمن غاية التحذير من شرِّ الحرص على المال والشرف في الدنيا.

فأما الحرصُ على المال فهو على نوعين:

أحدهما: شدة محبة المال مع شدة طلبه من وجوهه المباحة، والمبالغة في طلبه والجد في تحصيله واكتسابه من وجوهه مع الجهد والمشقة.

وقد ورد أن سبب الحديث كان وقوع بعض أفراد هذا النوع، كما أخرجه الطبراني من حديث عاصم بن عديٍّ ﷺ، قال: اشتريت مائة سهم من سهام خيبر فبلغ ذلك النبي ﷺ، فقال: «ما ذئبان ضاريان ظلا في غنم أضاعها ربها بأفسد من طلب المسلم المال والشرف لدينه».

قلت: ولو لم يكن في الحرص على المال إلا تضييعُ العمر الشريف الذي لا قيمة له، وقد كان يمكنُ صاحبه فيه اكتساب الدرجات العلى والنعيم المقيم فضيعه بالحرص في طلب رزق مضمون مقسوم لا يأتي منه إلا ما قُدِّر وقُسِّم، ثم لا ينتفع به بل يتركه لغيره ويرتحل عنه فيبقى حسابه عليه ونفعه لغيره، فيجمع لمن لا يحمده ويقدم على من لا يعذره، لكفاه بذلك ذما للحرص.

فالحريصُ يضيعُ زمانَه الشريف ويخاطرُ بنفسه التي لا قيمة لها في الأسفار وركوب الأخطار لجمع مال ينتفع به غيره.

كما قيل:

ومَن ينفقُ الأيامَ في جمعِ مالِهِ مخافةَ فقرٍ، فالذي فعلَ الفقرُ

قيل لبعض الحكماء: إنَّ فلانا جمع مالا. فقال: فهل جمع أيامًا ينفقه فيها؟ قيل: لا. قال ما جمع شيئا.

وفي بعض الآثار الإسرائيلية: الرزق مقسومٌ والحريص محرومٌ، ابن آدم! إذا أفنيت عمرك في طلب الدنيا فمتى تطلب الآخرة.

إذا كنتَ في الدنيا عن الخيرِ عاجزا فما أنتَ في يومِ القيامة صانعُ

قال ابن مسعود ﷺ: اليقينُ ألا ترضي الناس بسخط الله، ولا تحمد أحدًا على رزق الله، ولا تلوم أحدًا على ما لم يؤتك الله، فإن الرزق لا يسوقه حرصُ حريص ولا يردُّه كراهةُ كاره، فإن الله بقسطه جعل الروحَ والفرحَ في اليقين والرضا، وجعل الهمَّ والحزنَ في الشكِّ والسَّخط.

وقال بعض السلف: إذا كان القدرُ حقًّا فالحرصُ باطلٌ، وإذا كان الغدرُ في الناس طبعًا فالثقةُ بكل أحدٍ عجزٌ، وإذا كان الموتُ لكل أحدٍ راصدًا فالطمأنينةُ إلى الدنيا حمقٌ.

كان عبدُ الواحد بن زيد يحلفُ بالله لحرصُ المرء على الدنيا أخوفُ عليه عندي من أعدى أعدائِه.

وكان يقول: يا إخوتاه! لا تغبطوا حريصًا على ثروته وسعته في مكسبٍ ولا مال، وانظروا له بعين المقت له في اشتغاله اليومَ بما يرديه غدا في المعاد ثم يتكبر.

وكان يقول: الحرصُ حرصان: حرصٌ فاجعٌ، وحرصٌ نافعٌ. فأما النافعُ: فحرصُ المرءِ على طاعة الله. وأما الحرصُ الفاجع: فحرصُ المرء على الدنيا.

فالحرص على الدنيا معذبٌ صاحبه، مشغولٌ لا يسرُّ ولا يلذُّ بجمعه لشغله، فلا يفرغُ من محبة الدنيا لآخرته لالتفاتِه لما يفنى وغفلتِه عمَّا يدومُ ويبقى.

ولبعضهم في هذا المعنى:

لا تغبطنَّ أخا حرصٍ على سعةٍ ... وانظر إليه بعينِ الماقتِ القالي
إنَّ الحريصَ لمشغولٌ بثروتهِ ... عن السرورِ بما يحوي من المالِ

ولآخرَ في هذا المعنى:

يا جامعًا مانعًا والدهرُ يرمقُه ... مفكرًا أيُّ بابٍ منه يغلقُه
جمعتَ مالا ففكر هل جمعتَ له ... يا جامعَ المالِ أيامًا تفرقُه
المالُ عندَك مخزونٌ لوارثهِ ... ما المالُ مالك إلا يومَ تنفقُه
إن القناعةَ من يحللْ بساحتِها ... لم يلقَ في ظلِّها همًّا يؤرقُه

وكتب بعضُ الحكماءِ إلى أخٍ له كان حريصًا على الدنيا: أما بعدُ؛ فإنكَ أصبحتَ حريصًا على الدنيا، تخدمُها وهي تخرجُك عن نفسِها بالأعراضِ والأمراضِ والآفاتِ والعلل، كأنك لم تَرَ حريصًا محرومًا، ولا زاهدًا مرزوقًا، ولا ميتًا عن كثير، ولا متبلغًا من الدنيا باليسير.

عاتب أعرابيٌّ أخاه على الحرصِ، فقال له: يا أخي! أنت طالبٌ ومطلوبٌ، يطلبك مَن لا تفُوته وتطلب ما قد كُفيته، كأنك يا أخي لم ترَ حريصًا محرومًا ولا زاهدًا مرزوقا.

وقال بعضُ الحكماء: أطولُ الناسِ همًّا الحسودُ، وأهنؤُهم عيشًا القنوعُ، وأصبرُهم على الأذى الحريصُ، وأخفضُهم عيشًا أرفضُهم للدنيا، وأعظمُهم ندامةً العالِمُ المفرط.

ولبعضهم في هذا المعنى:

كم من حريصٍ طامعٍ ... والحرصُ صيَّره ذليلا
الحر صُداءٌ قد أضـ ... ـرَّ بمن ترى إلا قليلا

ولغيره:

كم أنتَ للحِرصِ والأماني عَبدُ
ليسَ يُجدي كَالحرصُ والسعيُ إذا لم يكن جَدُّ
ما لِمَا قدَّرها الله مِن الأمرِ بُدُّ

ولأبي العتاهية يخاطبُ سلمًا الخاسر :

تعالىٰ الله يا سلـــمُ بن عــمروٍ ... أذلَّ الحــرصُ أعناقَ الرجالِ

ومن كلام المأمون : الحرصُ مفسدةٌ للدين والمروءة .

وأنشد بعضهم :

حرصُ الحــريصِ جــنون ... والصـــبـــرُ حــصنٌ حصــينُ

إن قـــــــدَّر الله شيئًــا ... فإنَّـــــــــــه سيكـــــون

ولغيره :

حتى متى أنت في حــلٍّ وترحــال ... وطـــول سعيٍ وإدبـــارٍ وإقبـــال

ونازحُ الدارِ لا ينفكُّ مغتـــــربًا ... عن الأحـــبةِ لا يـــدرون بالحـــالِ

بمشرقِ الأرضِ طورًا ثم مغربــها ... لا يخطرُ الموتُ من حرصٍ على بالِ

ولو قـنعتَ أتاكَ الرزقُ في دعــةٍ ... إنَّ القنـــوعَ الغني لا كـــثرة المــالِ

ولمحمود الوراق :

أيُّــها المتعبُ جــهــدًا نـفسَـــه ... يطلبُ الــدنيا حــريـصًــا جاهــدا

لا لكَ الـــــدنيا ولا أنتَ لـــها ... فاجـعلِ الــهـمَّـينِ هـمًّــا واحـدا

النوع الثاني من الحرص :

أن يزيد على ما سبق ذكره في النوع الأول حتى يطلبَ المال من الوجوه المحرمة ويمنع الحقوق الواجبة ، فهذا من الشحِّ المذموم . قال تعالىٰ : ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[الحشر :9] .

وفي « سنن أبي داود » عن عبدالله بن عمرو ﵄ عن النبي- صلىٰ الله عليه وآله وسلم- قال : « اتقوا الشحِّ ، فإن الشحَّ أهلكَ من كان قبلكم ، أمرهم بالقطيعة فقطعوا ، وأمرهم بالبخل فبخلوا ، وأمرهم بالفجور ففجروا » .

وفي « صحيح مسلم » عن جابر ﵁ عن النبي- صلىٰ الله عليه وآله وسلم- قال : « اتقوا الشحِّ ، فإن الشحَّ أهلكَ من كان قبلكم ، حملهم أن سفكوا دماءَهم ، واستحلُّوا محارمَهم » .

قال طائفة من العلماء : الشحُّ هو الحرصُ الشديد الذي يحمل صاحبَه على أن يأخذ الأشياء من غير حِـلِّها ويمنعها حقوقَها .

وحقيقته : أن تتشوَّفَ النفسُ إلى ما حرَّم الله ومنع منه ، وأن لا يقنعَ الإنسانُ بما أحلَّه الله له من مالٍ أو فرجٍ أو غيرهما ، فإنَّ الله تعالى أحلَّ لنا الطيبات من المطاعمِ والمشاربِ والملابسِ والمناكحِ ،

وحرَّم تناول هذه الأشياء من غير وجوه حِلِّها، وأباح لنا دماءَ الكفارِ والمحاربين وأموالهم، وحرَّم علينا ما عدا ذلك من الخبائث من المطاعمِ والمشاربِ والملابسِ والمناكحِ، وحرَّم علينا أخذَ الأموال وسفك الدماء بغير حقها.

فمن اقتصر على ما أُبيحَ له فهو المؤمن، ومن تعدَّى ذلك إلى ما مُنِع منه فهو الشحُّ المذموم وهو منافٍ للإيمان. ولهذا أخبر النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- أن الشحَّ يأمرُ بالقطيعة والفجور والبخل.

والبخل: هو إمساكُ الإنسانِ ما في يده.

والشحُّ: تناولُ ما ليس له ظلمًا وعدوانًا من مالٍ أو غيره، حتى قيل: إنه رأس المعاصي كلِّها.

وبهذا فسَّر ابنُ مسعود ﷺ وغيرُه من السلفِ الشحَّ والبخلَ.

ومن هنا؛ يُعلمُ معنى حديثِ أبي هريرة ﷺ، عن النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- أنه قال: «لا يجتمع الشحُّ والإيمان في قلب مؤمن».

والحديثُ الآخر عن النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- أنه قال: «أفضلُ الإيمانِ الصبرُ والسماحةُ».

وفُسِّر «الصبرُ» بالصبرِ عن المحارم، و«السماحة» بأدواء الواجبات.

وقد يُستعملُ الشحُّ بمعنى البخلِ وبالعكس، ولكن الأصل هو التفريقُ بينهما على ما ذكرنا.

ومتى وصل الحرصُ على المالِ إلى هذه الدرجة نقصَ بذلك الدينُ والإيمانُ نقصًا بيِّنًا،فإن منعَ الواجباتِ وتناول المحرماتِ ينقُصُ بهما الدينُ والإيمانُ بلا ريبٍ حتى لا يبقى منه إلا القليل.

فصـــــــــــلٌ

وأمَّا حرصُ المرءِ على الشرفِ فهو أشدُّ إهلاكًا من الحرصِ على المال، فإن طلبَ شرفِ الدنيا والرفعةِ فيها، والرياسةِ على الناسِ والعلوِّ في الأرضِ أضرُّ على العبدِ من طلبِ المال، وضرره أعظم، والزهدُ فيه أصعبُ؛ فإنَّ المالَ يُبذَلُ في طلبِ الرياسةِ والشرف.

والحرصُ على الشرف قسمين:

أحدهما:

طلبُ الشرفِ بالولاية والسلطانِ والمال. وهذا خطرٌ جدًّا، وهو في الغالبِ يمنعُ خيرَ الآخرةِ وشرَفَها وكرامَتها وعزَّها.

قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[القصص: 83].

وقلَّ مَن يحرصُ على رياسةِ الدنيا بطلبِ الولاياتِ فيوفَّقُ، بل يُوكلُ إلى نفسه، كما قال النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- لعبد الرحمن بن سَمُرة ﷺ: «يا عبدَ الرحمن! لا تسأل الإمارةَ، فإنك إن أُعطيتَها عن مسألةٍ وُكِلتَ إليها، وإن أُعطيتَها عن غيرِ مسألةٍ أُعنتَ عليها».

قال بعضُ السلف: ما حرصَ أحدٌ على ولايةٍ فعدلَ فيها.

وكان يزيدُ بن عبدالله بن موهب من قضاة العدلِ والصالحين، وكان يقول: مَن أحبَّ المالَ والشرفَ وخافَ الدوائرَ لم يعدلْ فيها.

وفي «صحيح البخاري» عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- قال: «إنكم ستحرصون على الإمارة، وستكونُ ندامةً يومَ القيامة، فنعمتِ المرضعة، وبئستِ الفاطمة».

وفيه - أيضًا – عن أبي موسى الأشعري ﷺ أن رجلين قالا للنبي- صلى الله عليه وآله وسلم-: يا رسول الله! أَمِّرنا. قال: «إنَّا لا نولي أمرنا هذا مَن سأله، ولا من حرص عليه».

واعلم أن الحرص على الشرفِ يستلزم ضررًا عظيمًا قبل وقوعه في السعي في أسبابه، وبعد وقوعه بالحرص العظيم الذي يقعُ فيه صاحبُ الولاية من الظلم والتكبر وغير ذلك من المفاسد.

وقد صنَّف أبو بكر الآجري - وكان من العلماء الرِّبَّانيين في أوائل المائة الرابعة – مصنفًا في أخلاق العلماء وآدابهم، وهو من أجلِّ ما صُنِّفَ في ذلك، ومن تأمله علمَ منه طريقةَ السلف من العلماء، والطرائقَ التي حدثت بعدهم المخالفة لطريقهم، فوصف فيه عالِمَ السوء بأوصافٍ طويلة، منها أنه قال:

" قد فتنهُ حبُّ الدنيا والثناءُ والشرفُ والمنزلةُ عند أهل الدنيا، يتجمَّلُ بالعلمِ كما يتجمَّلُ بالحُلَّة الحسناء للدنيا، ولا يُجمِّلُ علمَه بالعمل به". وذكر كلامًا طويلا إلى أن قال: " فهذه الأخلاقُ وما يشبهها تغلبُ على قلبِ من لم ينتفع بالعلم، فبينا هو مُقاربٌ لهذه الأخلاق إذ رَغبت نفسُهُ في حبِّ الشرفِ والمنزلةِ فأحبَّ مجالسةَ الملوك وأبناء الدنيا وأحبَّ أن يشاركهم فيما هم فيه من رخاء عَيشهم من منزلٍ بَهِيٍّ، ومركبٍ هَنِيٍّ، وخادمٍ سَرِيٍّ، ولباسٍ ليِّنٍ، وفراشٍ ناعمٍ، وطعامٍ شَهِيٍّ، وأحبَّ أن يُغشَى بابُهُ، وأن يُسمعَ قولُه، ويُطاعُ أمرُه، فلم يَقدر عليه إلا من جهة القضاءِ فطلبَه، فلم يُمكنْه إلا ببذل دينه فتذلَّل للملوك وأتباعهم؛ فخدمَهُم بنفسه وأكرمهم بماله، وسكتَ عن قبيحِ ما ظهرَ له من الدخولِ في إيواناتهم وفي منازلهم من أفعالهم، ثم قد زيَّنَ لهم كثيرًا من قبيح فِعلِهم بتأوُّله الخطأ ليحسن موقعَه عندهم، فلمَّا فعل هذا مدَّةً طويلةً واستحكم فيه الفسادُ ولَّوْهُ القضاءَ فذبحوه بغير سكِّين، فصارت لهم عليه منَّةٌ عظيمةٌ، ووجبَ عليه شكرُهم فآلمَ نفسَه لئلا يُغضبَهم عليه فيَعزلوه عن القضاء، ولم يلتفت إلى غضب مولاه الكريم، فاقتطعَ أموالَ اليتامى والأراملِ والفقراءِ والمساكين، وأموالَ الوَقفِ على المجاهدين وأهل الشرفِ بالحرمين، وأموالا يعودُ نفعُها على جميع

المسلمين، فأرضى بها الكاتبَ والحاجبَ والخادم، فأكلَ الحرام وأطعم الحرام وكثُرَ الداعي عليه، فالويلُ لمن أورثه علمُه هذه الأخلاق. وهذا العلمُ هو الذي استعاذ منه النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- ، وأمر أن يُستعاذَ منه، وهذا العالِـمُ الذي قال فيه النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- : «إنَّ أشدَّ الناسِ عذابًا يوم القيامة عالِـمٌ لم ينفعه الله بعلمه». وكان ﷺ يقول: «اللهم إني أعوذ بك من علمٍ لا ينفع، ومن قلبٍ لا يخشع، ومن نفسً لا تشبع، ومن دعاءٍ لا يُسمع». وكان عليه السلام يقول: «اللهم إني أسألك علمًا نافعًا، وأعوذ بك من علمٍ لا ينفع»."

هذا كله كلام الإمام أبي بكر الآجُرِّي- رحمه الله تعالى- ، وكان في أواخر الثلاثمائة، ولم يَزَل الفسادُ بعدَه متزايدًا على ما ذكرناه أضعافًا مُضاعفةً، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

ومن دقيقِ آفاتِ حُبِّ الشرفِ: طلبُ الولاياتِ والحرصُ عليها، وهو بابٌ غامضٌ لا يعرفه إلا العلماءُ بالله، العارفونَ به، المحبُّون له، الذين يُعادون له مَن جُهَّالِ خلقِه المزاحمينَ لربوبيته وإلهيته مع حقارتِهم وسقوطِ منزلتهم عند الله،وعند خواصِّ عبَّاده العارفين به. كما قال الحسن- رحمه الله- فيهم: إنهم وإن طَقطَقت بهمُ البِغالُ وهملجَت بهمُ البراذينُ فإنَّ ذُلَّ المعصيةِ في رقابهم، أبى الله إلا أن يُذلِّ من عصاه.

واعلم أنَّ حُبَّ الشرفِ بالحرصِ على نفوذِ الأمرِ والنهيِ، وتدبيرِ أمرِ الناس، إذا قصدَ بذلك مجرد علوِّ المنزلة على الخلقِ، والتعاظمِ عليهم، وإظهارِ صاحبِ هذا الشرفِ حاجةَ الناس وافتقارهم إليه، وذُلِّهم له في طلبِ حوائجَهم منه؛ فهذا نفسُه مزاحمةً لربوبية الله وإلهيته، وربما تسبب بعضُ هؤلاء إلى إيقاع الناسِ في أمرٍ يحتاجون فيه إليه؛ لِيضطرُّهم بذلك إلى رفعِ حاجاتهم إليه، وظهورِ افتقارِهِم واحتياجِهم إليه، ويتعاظمُ بذلك ويتكبَّرُ به، وهذا لا يصلحُ إلا لله وحده لا شريك له. كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾[الأنعام: 42]، وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾[الأعراف: 94].

وفي بعضِ الآثارِ: إنَّ الله تعالى لَيَبتلي عبدَه بالبلاءِ لِيَسمعَ تَضرُّعَه. وفي الآثارِ- أيضًا -: إنَّ العبدَ إذا دعَا الله تعالى وهو يُحبُّه قال الله تعالى: «يا جبريل! لا تَعجَل بقضاءِ حاجته؛ فإني أحبُّ أن أسمع تَضرُّعَه».

فهذه الأمور أصعبُ وأخطرُ من مجردِ الظلمِ وأدهى وأمَـرُّ من الشركِ، والشركُ أعظمُ الظلم عند الله.

وفي «الصحيح» عن النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- ، أنه قال: «يقول الله تعالى: الكبرياءُ ردائي ، والعظمةُ إزاري ، فمن نازعني فيهما عذَّبتُه».

كان بعضُ المتقدمين قاضِيًا ، فرأى في منامِهِ كأنَّ قائلا يقول له: أنتَ قاضٍ ، والله قاضٍ. فاستيقظ منزعِجًا ، وخَرَجَ عن القضاء وتركه.

وكان طائفة من القضاة الوَرِعين يمنعون الناسَ أن يدعوهم بـ "قاضي القضاة" ؛ فإن هذا الاسم يُشبه ملكَ الملوك الذي ذمَّ النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- التسميةَ به ، وقال: «لا مالك إلا الله». و"حاكم الحكَّام" مثله ، أو أشدُّ منه.

ومن هذا الباب - أيضًا -: أن يُحِبَّ ذو الشرفِ والولاية أن يُحمدَ على أفعاله ويثنَى عليه بها ، ويطلبُ من الناس ذلك ، ويتسبَّبُ في أذى مَن لا يُجيبُه إليه ، وربما كان ذلك الفعلُ إلى الذَّم أقربَ منه إلى المدح ، وربما أظهرَ أمرًا حسنًا في الظاهر وأحبَّ المدحَ عليه وقصدَ به في الباطن شرًّا ، وفَرِحَ بتمويه ذلك وترويجه على الخلق.

وهذا يدخلُ في قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[آل عمران: 188] ، فإنَّ هذه الآية إنما نزلت فيمن هذه صفاتُهُ ، وهذا الوصفُ – أعني: طلبَ المدح من الخلقِ ومحبَّتَهُ والعقوبةَ على تركه- لا يصلحُ إلا لله وحده لا شريك له ، ومن هنا كان أئمةُ الهدى يَنهَوْنَ عن حمدِهِم على أعمالهم وما يصدُرُ منهم من الإحسانِ إلى الخلقِ ، ويأمرون بإضافةِ الحمدِ على ذلك لله وحده لا شريك له ، فإنَّ النِّعمَ كلها منه.

وكان عمرُ بنُ عبدالعزيز – رحمه الله – شديدَ العنايةِ بذلك ، وكتبَ مرَّةً إلى أهل الموسمِ كتابًا يُقرأُ عليهم ، وفيه الأمرُ بالإحسانِ إليهم ، وإزالةُ المظالم التي كانت عليهم ، وفي الكتاب: "ولا تَحمَدوا على ذلك كلِّه إلا الله ؛ فإنه لو وَكَلَني إلى نفسي كُنتُ كغيري".

وحكايته مع المرأةِ التي طلبتْ منه أن يَفرِضَ لِبناتِها اليتامى مشهورةٌ ، فإنها كانت لها أربعُ بناتٍ ، ففرضَ لاثنتين منهنَّ ، وهي تَحمَدُ الله ، ثم فرضَ للثالثة فشكرتْهُ ، فقال: "إنما كنَّا نفرضُ لهنَّ حيثُ كنتِ تولينَ الحمدَ أهلَهُ ، فَمُرِي هذه الثلاثَ يُواسِينَ الرابعةَ". أو كما قال ﷺ.

أرادَ أن يُعرَفَ أنَّ ذا الولايةِ إنما هو منتصِبٌ لِتنفيذِ أمرِ الله ، وآمِرٌ العبادَ بطاعته تعالى ، وناهٍ لهم عن محارمِ الله ، ناصِحٌ لعبادِ الله بدُعائهم إلى الله ، فهو يقصدُ أن يكونَ الدينُ كلُّه لله ، وأن تكونَ الغزَّةُ لله ، وهو مع ذلك خائفٌ من التقصيرِ في حقوقِ الله تعالى أيضًا.

فالمحبُّون لله غايةُ مقاصِدِهم من الخلقِ أن يُحبُّوا الله ويُطيعوه ، ويُفردوه بالعبودية والإلهية ، فكيف من يُزاحِمُه في شيءٍ من ذلك ، فهو لا يريدُ من الخلقِ جزاءً ولا شكورًا ، وإنما يرجو ثوابَ عمله من الله كما قال الله تعالى: ﴿ ﴾[آل عمران: 79-80].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تُطروني كما أَطرَت النصارى المسيحَ ابنَ مريم، إنما أنا عبدٌ، فقولوا: عبدَ الله ورسولَه». وكان رسولُ الله – صلى الله عليه وآله وسلم– يُنكرُ على من لا يتأدَّبُ معه في الخطاب بهذا الأدب، كما قال: «ر تقولوا: ما شاءَ الله وشاء محمدٌ؛ بل قولوا: ما شاءَ الله ثم ما شاء محمد»، وقال لمن قال: ما شاءَ الله وشئتَ: «أَجعلتني لله ندًّا؛ بل ما شاءَ الله وحدَهُ».

فمن هنا كان خلفاءُ الرسلِ وأتباعُهم من أمراءِ العدلِ وأتباعُهم وقضاتُهم لا يدعون إلى تعظيمِ نفوسِهم البتَّـةَ؛ بل إلى تعظيمِ الله وحدَه، وإفرادِه بالعبودية والإلهية، ومنهم من كانَ لا يريدُ الولايةَ إلا للاستعانةِ بها على الدعوة إلى الله وحدَه.

وكان بعضُ الصالحين يتولى القضاءَ ويقول: ألا أتولاهُ لِأستعينَ به على الأمرِ بالمعروف والنهي عن المنكر.

ولهذا كانت الرسلُ وأتباعُهم يَصبرون على الأذى في الدعوة إلى الله، ويتحمَّلون في تنفيذِ أوامر الله من الخلق غايةَ المشقَّةِ وهم صابرون، بل راضون بذلك؛ فإنَّ المحبَّ ربما يتلذَّذُ بما يُصيبه من الأذى في رضى محبوبه، كما كان عبدُ الملك بنُ عمرَ بنِ عبد العزيز– رحمه الله– يقولُ لأبيه في خِلافته إذا حرصَ على تنفيذ الحقِّ وإقامةِ العدل: يا أبتِ! لَوَدِدتُ أني غَلَتْ بي وبكَ القُدورُ في الله عزَّ وجلَّ.

وقال بعضُ الصالحين: ودَدتُ أنَّ جسمي قُرِضَ بالمقاريضِ وأنَّ هذا الخلقَ كلَّهم أطاعوا الله عزَّ وجلَّ. فعُرِضَ قولَه على بعضِ العارفين فقال: إن كان أرادَ بذلك النصيحةَ للخلقِ وإلا فلا أدري. ثم غُشِيَ عليه.

ومعنى هذا: أنَّ صاحبَ هذا القولِ قد يكونُ لِحظِّ نُصحِ الخلقِ والشفقةِ عليهم من عذابِ الله وأحبَّ أن يفدِيَهم من عذابِ الله بأذى نفسهِ، وقد يكونُ لِحظِّ جلال الله وعظمتهِ وما يستحقُّه من الإجلالِ والإكرامِ والطاعةِ والمحبةِ؛ فودَّ أنَّ الخلقَ قاموا بذلك وإن حصلَ له في نفسهِ غايةُ الضررِ، وهذا هو مشهدُ خواصِّ المحبِّين العارفين بملاحظتِه فغُشِيَ على هذا الرَّجُل العارف. وقد وصفَ الله تعالى في كتابه أنَّ المحبِّين له يجاهدون في سبيله ولا يخافونَ لومةَ لائمٍ.

وفي ذلك يقول بعضُهم:

أجـدُ الملامةَ في هـواكَ لذيذةً ... حُـبًّا لذكرِكَ فَلْيَلُمْنِي اللُّـوَّمُ

القسمُ الثاني:

طلبُ الشرفِ والعُلوِّ على الناس بالأمور الدينية، كالعلم والعملِ والزُّهدِ.

فهذا أفحشُ من الأوَّلِ وأقبحُ وأشدُّ فسادًا وخطرًا؛ فإنَّ العلمَ والعملَ والزُّهدَ إنما يُطلبُ به ما عند الله من الدرجاتِ العُلى والنعيمِ المقيم والقربِ منه والزُّلفى لديه.

قال الثوريُّ : إنما فَضُلَ العلمُ لأنه يُتَّقَىٰ به الله ، وإلا كان كسائرِ الأشياء .

فإن طلبَ بشيءٍ من هذا عَرَضَ الدنيا فهو- أيضًا — نوعان :

أحدهما : أن يطلُبَ به المال ؛ فهذا من نَوعِ الحرصِ علىٰ المال وطلبِهِ بالأسبابِ المحرَّمة . وفي هذا جاء الحديثُ عن النبي- صلىٰ الله عليه وآله وسلم- : « مَن تعلَّمَ علمًا مما يُبتغَىٰ به وجهُ الله لا يتعلَّمُه إلا لِيُصيبَ به عَرَضًا في الدنيا لم يجد عَرفَ الجنَّةِ يومَ القيامة » يعني : ريحها . خرَّجه الإمامُ أحمدُ ، وأبو داود ، وابنُ ماجه ، وابنُ حبان في « صحيحه » من حديث أبي هريرة ﷺ ، عن النبي- صلىٰ الله عليه وآله وسلم- .

وسببُ هذا – والله أعلم – : أنَّ في الدنيا جَنةً معجَّلةً وهي معرفةُ الله ومحبَّتُهُ والأنسُ به والشوقُ إلىٰ لقائه وخشيتُه وطاعتُه ، والعلمُ النافعُ يدلُّ علىٰ ذلك ، فمن دلَّه علمُه علىٰ دخول هذه الجنة المعجَّلة في الدنيا دخل الجنةَ في الآخرة ، ومَن لم يَشُم رائحتَها لم يشُم رائحة الجنة في الآخرة .

ولهذا كان أشدّ الناس عذابًا في الآخرة عالِمٌ لم ينفعه الله بعلمه ، وهو مِن أشدِّ الناسِ حسرةً يوم القيامة ؛ حيثُ كان معه آلةٌ يتوصَّلُ بها إلىٰ أعلىٰ الدرجاتِ وأرفعِ المقاماتِ فلم يستعملها إلا في التوصُّل إلىٰ أخسِّ الأمورِ وأدناها وأحقرِها ، فهو كمن كان معه جواهرُ نفيسةٌ لها قيمةٌ فباعها بِبَعرةٍ أو شيءٍ مُستقذر لا يُنتفعُ به ؛ فهذا حالُ مَن يطلب الدنيا بعلمِه ، بل أقبح ، وأقبحُ من ذلك مَن يطلبها بإظهارِ الزُّهدِ فيها ،فإنَّ ذلك خِداعٌ قبيحٌ جدًّا .

وكان أبو سليمانَ الدَّارانـيُّ يَعِيبُ علىٰ مَن لَبسَ عباءةً وفي قلبه شهوةٌ من شهوات الدنيا تُساوي أكثر من قيمةِ العباءة . يشيرُ إلىٰ أنَّ إظهارَ الزهدِ في الدنيا باللباسِ الديني إنما يَصلحُ لمن فرَّغَ قلبَه من التعلُّق بها بحيثُ لا يتعلَّقُ قلبُهُ بها بأكثَرَ من قيمةِ ما لبسَه في الظاهر حتى يستوي ظاهرُهُ وباطنُهُ في الفراغِ من الدنيا .

وما أحسنَ قولَ بعضِ العارفينَ وقد سُئلَ عن الصوفيِّ ، فقال : الصوفيُّ :

مَــن لّــبِسَ الصُّـــوفَ علىٰ الصَّــفا	وســلــك طـــريــق المصـطـفــىٰ
وذَاقَ الــهَــوَىٰ بـعـد الــجَـفَـــا	وكانتِ الـدُّنيا منهُ خـلـف القَـفَـا

النوعُ الثاني : مَن يطلبُ بالعلمِ والعملِ والزهدِ الرئاسةَ علىٰ الخلقِ والتعاظمَ عليهم ، وأن ينقادَ الخلقُ ويخضعونَ له ويَصرفونَ وُجُوهَهُم إليه ، وأن يُظهِرَ للناسِ زيادةَ علمِه علىٰ العلماء لِيَعلُوَ به عليهم ونحو ذلك . فهذا موعدُهُ النارُ ؛ لأنَّ قصدَ التكبُّرِ علىٰ الخلق محرَّمٌ في نفسه ، فإذا استعمل فيه آلةَ الآخرةِ كان أقبحَ وأفحشَ من أن يستعملَ فيه آلاتِ الدنيا من المالِ والسلطانِ .

وفي « السنن » عن النبي- صلىٰ الله عليه وآله وسلم- : « مَن طلبَ العلمَ لِيُماري به السفهاءَ أو يُجاري به العلماءَ أو يَصرِفَ وُجوهَ الناسِ إليه أدخلَه الله النارَ » خرَّجه الإمامُ أحمدُ ، والترمذيُّ من حديث كعبِ بنِ مالك ﷺ . وخرَّجه ابنُ ماجه من حديث ابنِ عمرَ ﷺ وحذيفة ﷺ وعنده : « فهو في النار » .

وخرَّج ابن ماجه، وابن حبان في «صحيحه» من حديث جابر ﷺ، عن النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- قال: «لا تعلَّموا العلمَ لِتُباهوا به العلماء، ولا لتُماروا به السفهاء، ولا لتخَيَّروا به المجالس، فمن فعل ذلك فالنارَ النارَ». وخرَّجه ابنُ عديّ من حديث أبي هريرة ﷺ، عن النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- بنحوه، وزادَ فيه: «ولكن تعلَّموه لوجه الله والدارِ الآخرة».

وعن ابن مسعود ﷺ قال: «لا تعلَّموا العلمَ لثلاثٍ: لِتُمارُوا به السفهاء، أو لتُجادلوا به الفقهاء، أو لتَصرفوا به وجوه الناسِ إليكم، وابتغوا بقولكم وفعلكم ما عند الله؛ فإنه يبقى ويفنَى ما سواه».

وقد ثبتَ في «صحيح مسلم» عن أبي هريرة ﷺ، عن- صلى الله عليه وآله وسلم-قال: «إنَّ أوَّل الخلقِ تُسعَّرُ بهمُ النارُ يومَ القيامة ثلاثةٌ: منهم العالِـمُ الذي قرأ القرآنَ ليُقالَ: قارئٌ. وتعلَّمَ العلمَ ليقال: عالِـمٌ. وإنه يقالُ له: قد قيل ذلك. وأُمرَ به فسُحِبَ على وجهه حتى أُلقيَ في النار». وذكر مثل ذلك في المتصدِّق ليقال: إنه جوَاد. وفي المجاهد ليقال: إنه شجاع.

وعن علي ﷺ قال: يا حملةَ العلم! اعملوا به، فإنما العالِـمُ مَن عمِلَ بما علِم فوافقَ عملُهُ علمَه، وسيكونُ أقوامٌ يحملون العلمَ لا يجاوزُ تراقِيَهم يخالفُ علمُهُم عملَهم، ويخالفُ سريرتُهُم علانيتَهُم، يجلسون حِلقاً حِلقاً فيباهي بعضُهم بعضًا، حتى إنَّ الرَّجلَ ليغضبُ على جليسه إذا جلسَ إلى غيره ويدعُهُ، أولئك لا تصعدُ أعمالُهم في مجالسهم تلك إلى الله ﷻ.

وقال الحسنُ: لا يكونُ حظُّ أحدِكم من علمِهِ أن يقول له الناسُ: عالِـمٌ.

وفي بعضِ الآثار: أنَّ عيسى- عليه الصلاة والسلام- قال: كيفَ يكونُ من أهلِ العلمِ مَن يطلبُ العلمَ ليُحدِّثَ به ولا يطلبه ليعملَ به!.

وقال بعضُ السلف: بلغَنَا أن الذي يطلبُ الأحاديثَ ليحدِّثَ بها لا يجدُ ريحَ الجنة. يعني: مَن ليس له غرضٌ في طلبها إلا أن يُحدِّثَ بها دون العملِ بها.

ومن هذا القبيل كراهةُ السلفِ الصالح الجرأةَ على الفتيا والحرصَ عليها والمسارعةَ إليها والإكثارَ منها.

وروى ابنُ لهيعةَ عن عُبيد الله بنِ أبي جعفر مرسلا، عن النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- قال: «أجرؤُكُم على الفتيا أجرؤُكُم على النارِ».

وقال علقمة: كانوا يقولون: أجرؤُكُم على الفتيا أقلُّكُم علمًا.

وعن البراء قال: أدركتُ عشرينَ ومائةً من الأنصار من أصحابِ رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- يُسأَلُ أحدُهُم عن المسألةِ ما منهم من رجُلٍ إلا ودَّ أن أخاهُ كفاهُ. وفي رواية: فيرُدُّها هذا إلى هذا، وهذا إلى هذا حتى يرجعَ إلى الأوَّل.

وعن ابن مسعودٍ ﷺ قال: إنَّ الذي يُفتي الناسَ في كلِّ ما يستفتونه لَمَجنونٌ.

وسُئِلَ عمر بنُ عبد العزيز عن مسألةٍ فقال: ما أنا على الفُتيا بِجَرِيءٍ. وكتب إلى بعضِ عمَّالِه: إنِّي واللهِ ما أنا بِحَرِيصٍ على الفُتيا ما وجدتُ منها بُدًّا.

وقال ابنُ عُيينةَ: ليس هذا الأمرُ لمن ودَّ أن الناسَ احتاجوا إليه؛ إنما هذا الأمرُ لمن ودَّ أنه وجدَ مَن يكفيه. وعنه أنه قال: أعلمُ الناسِ بالفتاوَى أسكَتُهُم، وأجهلُهُم بها أنطقُهُم.

وقال سفيانُ الثوريُّ: أدركنا الفقهاءَ وهم يكرهونَ أن يُجِيبوا في المسائلِ والفُتيا حتى لا يجدوا بُدًّا من أن يُفتُوا، وإذا أُعفُوا منها كان أحبَّ إليهم.

وقال الإمامُ أحمدُ: من عرَّضَ نفسَه للفُتيا فقد عرَّضَها لأمرٍ عظيم، إلا أنه قد تُلجِيءُ إليه الضرورةُ. قيل له: فأيُّما أفضلُ الكلامُ أَمِ السكوتُ؟ قال: الإمساكُ أحبُّ إليَّ. قيل له: فإذا كانتِ الضرورةُ؟ فجعلَ يقولُ: الضرورةُ الضرورةُ! وقال: الإمساكُ أسلمُ له.

ولْيعلَمِ الـمُفتِي أنه يُوَقِّعُ عن اللهِ أمرَهُ ونهيَه، وأنه موقوفٌ ومسؤُولٌ عن ذلك.

قال الربيعُ بنُ خُثَيم: أيها الـمُفتُونَ! انظروا كيف تُفتُون؟

وقالَ عمروُ بنُ دينارٍ لقتادةَ لـمَّا جلسَ للفُتيا: تدري في أيِّ عملٍ وقعتَ؟ وقعتَ بينَ اللهِ وبينَ عبادِه، وقلت هذا يصلُح، وهذا لا يصلُح.

وعنِ ابنِ الـمُنكدر قال: إن العالِـمَ داخلٌ بينَ اللهِ وبينَ خلقِه، فلينظر كيفَ يدخلُ بينَهم؟

وكان ابنُ سيرينَ إذا سئِلَ عن الشيءِ من الحلال والحرامِ تغيَّرَ لونُهُ وتبدَّلَ حتى كأنه ليسَ بالذي كانَ.

وكان النخَعِيُّ يُسأَلُ فتظهرُ عليه الكراهةُ ويقول: ما وجدتَ أحدًا تسألُه غيري؟ وقال: قد تكلَّمتُ ولو وجدتُ بُدًّا ما تكلمتُ، وإن زمانًا أكونُ فيه فقيهَ أهلِ الكوفةِ لَزَمانُ سُوءٍ.

ورُوي عن ابنِ عمرَ ﷺ أنه قال: أنكم لَتَستفتُونا استفتاءَ قومٍ كأنَّا لا نسألُ عمَّا نُفتيكم به.

وعن محمد بنِ واسعٍ قال: أوَّلُ مَن يُدعَى إلى الحسابِ الفقهاءُ.

وعن مالكٍ ﷺ أنه كان إذا سُئِلَ عن المسألةِ كأنه واقفٌ بينَ الجنة والنارِ.

وقال بعضُ العلماءِ لبعضِ الـمُفتين: إذا سُئِلتَ عن مسألةٍ فلا يكن همُّكَ تخليصَ السَّائِلِ ولكن تخليصَ نفسكَ أوَّلا. وقال لِآخَرَ: إذا سُئِلتَ عن مسألةٍ فتفكَّرْ فإن وجدتَ لِنفسِكَ مخرجًا فتكلَّم وإلا فاسكُت.

وكلامُ السلفِ في هذا كثيرٌ جدًّا يطولُ ذِكرُهُ واستقصَاؤُهُ.

ومن هذا البابِ – أيضًا– كراهةُ الدخولِ على الملوكِ والدُّنوِّ منهم، وهو البابُ الذي يدخلُ منه علماءُ الدنيا إلى نَيْلِ الشرفِ والرِّئاساتِ فيها.

وخرَّجَ الإمامُ أحمدُ وأبو داود والترمذي والنسائيُّ من حديث ابن عباس ﷺ، عن النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- قال: «مَن سَكَنَ البادية جَفَا، ومَن اتَّبع الصيدَ غَفَلَ، ومَن أتى أبوابَ السلاطينِ افتُتِن».

وخرَّجَ أحمدُ وأبو داود نحوه من حديث أبي هريرة ﷺ، عن النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- وفي حديثه: «وما ازدادَ أحدٌ من السلطانِ دُنُوًّا إلا ازدادَ من الله بُعدًا».

وخرَّجَ ابنُ ماجه من حديث ابن عباس ﷺ عن النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- قال: «إنَّ أُناسًا من أُمتي سيتفقَّهون في الدِّينِ ويقرؤون القرآنَ يقولونَ نأتي الأمراءَ فنصيبُ من دنياهم ونعتَزِلُهم بديننا، ولا يكونُ ذلك كما لا يُجتنَى من القتادِ إلا الشَّوكُ، كذلكَ لا يُجتنَى مِن قُربهم إلا الخطايا».

وخرَّجه الطبرانيُّ ولفظه: « إنَّ أُناسًا من أُمتي يقرؤون القرآنَ ويتعمَّقون في الدِّين يأتِيَهم الشيطانُ يقولُ: لو أتيتُمُ الملوكَ فأصبتم من دنياهم واعتزلتُموهم بدينِكم. ألا ولا يكونُ ذلك كما لا يُجتنَى من القتادِ إلا الشَّوكُ، كذلكَ لا يُجتنَى مِن قُربهم إلا الخطايا».

وخرَّجَ الترمذيُّ من حديث أبي هريرة ﷺ، عن النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- قال: «تَعَوَّذوا بالله من جُبِّ الحَزَنِ» قالوا: وما جُبُّ الحَزَنِ؟ قال: «وادٍ في جهنمَ تتعوَّذُ منه جهنمُ كلَّ يومٍ مائةَ مرَّةٍ» قيل: يا رسول الله! مَن يدخُلُه؟ قال: «القرَّاءُ المُراءُونَ بأعمالهم».

وخرَّجَ ابنُ ماجه نحوه، وزادَ فيه: «وإنَّ من أبغضِ القُرَّاءِ إلى الله الذين يزورونَ الأمراءَ الجَوَرَةَ».

ويُروى من حديث عليٍّ ﷺ عن النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- نحوُه.

ومن أعظمِ ما يُخشَى على مَن يدخُلُ على الملوكِ الظَّلمة أن يُصَدِّقَهم بِكَذِبِهم، ويُعينَهم على ظلمهم ولو بالسُّكوتِ عن الإنكارِ عليهم، فإنَّ مَن يريدُ بدخولِه عليهم الشرفَ والرياسةَ وهو حريصٌ عليهما لا يُقدِمُ على الإنكارِ عليهم؛ بل ربَّما حسَّنَ لهم بعضَ أفعالهم القبيحة تقرُّبًا إليهم لِيَحسُنَ موقِعُهُ عندَهم، ويساعدوه على غَرَضِه.

وقد خرَّجَ الإمامُ أحمدُ والترمذيُّ والنسائيُّ وابنُ حبانَ في «صحيحه» من حديث كعب بن عُجرةَ ﷺ، عن النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- قال: «سَيَكونُ بعدي أُمراءُ فمن دخلَ عليهم فصَدَّقَهم بِكَذِبِهم، وأعانَهم على ظلمهم فليسَ منِّي ولستُ منه، وليسَ بِواردٍ عليَّ الحوضَ، ومَن لم يدخلْ عليهم و لم يُعْنهم على ظلمهم و لم يُصَدِّقهم بِكَذِبِهم فهو منِّي وأنا منه، وهو واردٌ عليَّ الحوضَ».

وخرَّجَ الإمامُ أحمدُ معنى هذا الحديث من حديثِ حذيفةَ ﷺ، وابن عمرَ ﷺ، وخبَّاب بن الأرتِّ وأبي سعيدٍ الخدريِّ والنعمان بنِ بشيرٍ رضي الله عنهم.

وقد كان كثيرٌ من السلفِ يَنهَون عن الدخولِ على الملوكِ لمن أرادَ أمرَهُم بالمعروف ونهيَهم عن المنكرِ أيضًا . وممن نَهَى عن ذلك : عمر بنُ عبد العزيز ، وابنُ المبارك ، والثوريُّ ، وغيرُهم من الأئمة . وقال ابنُ المبارك : ليسَ الآمِرُ الناهي عندنا مَن دخلَ عليهم فأمرَهم ونهاهم ؛ إنما الآمِرُ الناهي مَن اعتَزلهم .

وسببُ هذا ما يُخشى من فتنة الدخولِ عليهم ؛ فإنَّ النفسَ قد تُخَيِّلُ للإنسان إذا كان بعيدًا عنهم أنه يأمُرُهم وينهاهُم ويُغلِّظُ عليهم ، فإذا شاهدَهم قريبًا مالتِ النفسُ إليهم ؛ لأن محبةَ الشرفِ كامنةٌ في النفسِ له ولذلك يُداهنُهم ويُلاطفُهم ، وربما مالَ إليهم وأحبَّهم ، ولا سيَّما إن لاطفوهُ وأكرموهُ وقَبِلَ ذلك منهم ، وقد جَرَى ذلك لعبد الله بن طاووس مع بعضِ الأمراء بحضرةِ أبيه طاووس فوبَّخه طاووسٌ على فعله ذلك .

وكتب سفيان الثوريُّ إلى عبَّاد بن عبَّاد ، وكان في كتابه : "إيَّاك والأمراءُ أن تدنُوَ منهم أو تُخالطَهم في شيءٍ من الأشياء ، وإيَّاكَ أن تُخدعَ ويُقالُ لكَ لِتشفعَ وتدرأَ عن مظلومٍ أو ترُدَّ مظلمةً ؛ فإنَّ ذلك خديعةُ إبليس ، وإنما اتَّخذَها فُجَّارُ القرَّاء سُلَّمًا ، وما كُفيتَ عن المسألةِ والفُتيا فاغتنم ذلك ولا تنافسْهُم ، وإيَّاكَ أن تكون ممَّن يحبُّ أن يُعملَ بقولِه أو يُنشرَ قولُهُ أو يُسمعَ قولُهُ ، فإذا تُرِكَ ذلك منه عُرِفَ فيه ، وإيَّاكَ وحبُّ الرئاسةِ ؛ فإنَّ الرَّجلَ يكونُ حبُّ الرئاسةِ أحبَّ إليه من الذَّهبِ والفضة ، وهو بابٌ غامضٌ لا يُبصِرُهُ إلا البصيرُ من العلماء السَّماسِرة ، فَتفقَّدْ بقلبٍ واعملْ بنيَّةٍ ، واعلَم أنه قد دَنَا من الناسِ أمرٌ يشتهي الرَّجلُ أن يموتَ ، والسلامُ" .

ومن هذا الباب – أيضًا– : كراهةُ أن يُشهِرَ الإنسانُ نفسَه للناسِ بالعلمِ والزهدِ والدِّين أو بإظهار الأعمالِ والأقوالِ والكراماتِ لِيُزارَ وتُلتمسُ بركَتُهُ ودعاؤُه وتُقبَّلُ يدُه وهو مُحبٌّ لذلك ويُيِمُ عليه ويفرحُ به ويسعَى في أسبابه .

ومن هنا ؛ كان السلفُ الصالح يكرهونَ الشُّهرةَ غايةَ الكراهةِ ، منهم : أيوبُ والنخعيُّ وسفيانُ وأحمدُ وغيرُهم من العلماء الربَّانيين ، وكذلك الفُضَيلُ وداودُ الطائيُّ وغيرُهما من الزُّهَّاد والعارفين ، وكانوا يذمُّونَ أنفسَهم غايةَ الذَّم ويَسترون أعمالَهم غايةَ السِّتر .

دخلَ رجلٌ على داودَ الطائيِّ فسألهُ : ما جاءَ بك؟ فقال : جئتُ لأزورَكَ . فقالَ : أما أنتَ فقد أصبتَ خيرًا حيثُ زرتَ في الله ، ولكن أنا أنظرُ ماذا لقيتُ غدًا إذا قيلَ لي : مَن أنتَ حتى تُزارَ ؟ من الزُّهَّاد أنت؟ لا والله . من العُبَّاد أنت؟ لا والله .من الصالحين أنت؟ لا والله . وعدَّدَ خِصالَ الخير على هذا الوجه ، ثم جعل يوبِّخُ نفسَه ويقول : يا داود! كنتَ في الشبيبةِ فاسقًا ، فلمَّا شبتَ صرتَ مرائيًا ، والمرائي شرٌّ من الفاسق . وكان محمدُ بنُ واسع يقولُ : لو أنَّ للذنوب رائحةً ما استطاعَ أحدٌ أن يُجالِسَني .

وكان إبراهيمُ النخعيُّ إذا دخلَ عليه أحدٌ وهو يقرأُ في المصحف غطَّاه .

وكان أُيسٌ وغيرُه من الزُّهَّاد إذا عُرِفوا في مكانٍ ارتحلوا عنه .

وكان كثيرٌ من السلفِ يكرهُ أن يُطلبَ منه الدعاءُ ، ويقولُ لمن يسألُهُ الدعاء : أيُّ شيءٍ أنا؟

وممن رُويَ عنه ذلك عمرُ بنُ الخطاب وحذيفةُ بن اليمان – رضي الله عنهما– ، وكذلك مالكُ بن دينار . وكان النخعيُّ يكرهُ أن يُسألَ الدعاء . وكتب رجلٌ إلى أحمدَ يسألُهُ الدعاء ، فقال أحمد : إذا دعونا نحن لهذا فمن يدعو لنا؟

ووُصِفَ بعضُ الصالحينَ اجتهادَه في العبادةِ لبعضِ الملوكِ فعزمَ على زيارته ، فبلغَهُ ذلك فجلسَ على قارعةِ الطريقِ يأكلُ ، فوافاهُ المَلكُ وهو على تلكَ الحالةِ ، فسلَّمَ عليه ، فردَّ عليه السلام ، وجعلَ يأكُلُ أكلا كثيرًا ولا يلتفتُ إلى المَلك ، فقال المَلكُ : ما في هذا خيرٌ ، ورجع . فقال الرَّجُلُ : الحمدُ لله الذي ردَّ هذا عنِّي وهو لائمٌ .

وهذا بابٌ واسعٌ جدًّا .

وههنا نكتةٌ دقيقةٌ ، وهي : أن الإنسانَ قد يذُمُّ نفسَه بين الناسِ يريدُ بذلك أن يُرِيَ الناسَ أنه متواضعٌ عند نفسِه ، فيرتفعُ بذلك عندهم ويمدحونَه به ، وهذا من دقائقِ أبوابِ الرياء ، وقد نبَّه عليه السلفُ الصالحُ ، قال مُطَرِّفُ بنُ عبد الله الشِّخِّير : كفَى بالنفسِ إطراءً أن تذُمَّها على الملإ كأنك تريدُ بِذَمِّها زينَتَها ، وذلك عندَ الله سَفَهٌ .

فصـــــــلٌ

وقد تبيَّن بما ذكرنا أن حبَّ المال والرياسةِ والحرصِ عليهما يُفسدُ دينَ المرءِ حتى لا يبقَى منه إلا ما شاء الله ، كما أخبر بذلك النبي– صلى الله عليه وآله وسلم– .

وأصلُ محبَّة المالِ والشرف : حبُّ الدنيا . وأصلُ حبُّ الدنيا : اتِّباعُ الهوى .

قال وهبُ بنُ منبِّه : مِن اتِّباعِ الهوى : الرغبةُ في الدنيا . ومِن الرغبةِ فيها : حبُّ المال والشرف . ومن حبِّ المال والشرف : استحلالُ المحارم .

وهذا كلامٌ حسنٌ ؛ فإنه عتبَ على صاحب المال والشرف الرغبةَ في الدنيا ، وإنما تحصُلُ الرغبةُ في الدنيا من اتِّباع الهوى ؛ لأن الهوى داعٍ إلى الرغبةِ في الدنيا وحبُّ المال والشرف فيها ، والتقوى تمنعُ من اتِّباع الهوى وتردعُ عن حبِّ الدنيا . قال الله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ طَغَى (37) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (38) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى (39) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (40) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾[النازعات : 37–41] .

وقد وصفَ الله تعالى أهلَ النار بالمالِ والسلطان في مواضعَ من كتابه ، فقال تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ (25) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (26) يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (27) مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ (28) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴾[الحاقة : 25–29] .

واعلَم أن النفسَ تُحبُّ الرِّفعةَ والعُلُوَّ على أبناء جنسها ، ومن هنا نَشَأ الكِبرُ والحسدُ ، ولكنِ العاقلُ ينافِسُ في العُلوِّ الدائم الذي فيه رضوانُ الله وقُربُهُ وجوارُهُ ، والتكبُّرُ في الأرضِ بغيرِ الحق .

وأما العُلوُّ الأوَّلُ والحرصُ عليه فهو محمودٌ ، قال الله تعالى : ﴿ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾[المطففين : 26] .

وقال الحسن: إذا رأيتَ الرَّجُلَ يُنافسكَ في الدنيا فنافسْهُ في الآخرة.

وقال وُهَيبُ بنُ الورد: إنِ استطعتَ أن لا يسبقكَ إلى الله أحدٌ فافعلْ.

وقال محمد بن يوسف الأصبهانيُّ العابد: لو أن رجُلا سمعَ برجُلٍ أو عرفَ رجُلا أطوعَ لله منه كان ينبغي له أن يَحزُنَه ذلك. وقال غيرُه: لو أن رجُلا سمعَ برجُلٍ أو عرفَ رجُلا أطوعَ لله منه فانصدعَ قلبُه لم يكنْ ذلك بعَجبٍ. وقال رجُلٌ لمالك بن دينار: رأيتُ في المنام مناديًا ينادي: أيها الناس! الرحيلَ، الرحيلَ، فما رأيتُ أحدًا ارتَحلَ إلا محمد بنُ واسعٍ فصاحَ مالكٌ وغُشِيَ عليه.

ففي درجاتِ الآخرة الباقية يشرُعُ التنافسُ وطلبُ العُلوِّ في منازلها والحرصُ على ذلك بالسَّعي في أسبابه، وأن لا يقنع الإنسانُ منها بالدُّونِ مع قدرته على العُلوِّ.

وأما العُلوُّ الفاني المنقطعُ الذي يَعقب صاحبَهُ غدًا حسرةً وندامةً وذلةً وهوانًا وصَغَارًا فهو الذي يَشرُعُ الزهدُ فيه والإعراضُ عنه.

وللزهدِ فيه أسبابٌ عديدةٌ:

فمنها: نظرُ العبدِ إلى سوءِ عاقبةِ الشرفِ في الدنيا بالولايةِ والإمارةِ لِمن لا يؤدي حقَّها في الآخرة.

ومنها: نظرُ العبدِ إلى عقوبةِ الظالمين والمتكبِّرين ومَن يُنازعُ الله رداءَ الكبرياء. وفي «السنن» عن النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- قال: «يُحشَرُ المتكبِّرونَ يومَ القيامةِ أمثالَ الذَّرِّ في صُوَرِ الرِّجال، يغشاهُمُ الذُّلُّ من كلِّ مكانٍ، يُساقونَ إلى سجنٍ في جهنمَ يُقالُ له بُولُسَ، تعلوهُمُ نارُ الأنيارِ، يُسقَون من عُصارةِ أهلِ النارِ طينةَ الخَبَال». وخرَّجه الترمذيُّ وغيرُه من حديث عمرو بنِ شعيبٍ عن أبيه عن جدِّه، عن النبي- صلى الله عليه وآله وسلم-، وفي روايةٍ لغيره من وجهٍ آخرَ في هذا الحديث: «يَطَؤُهُم الناسُ بأقدامهم»، وفي روايةٍ أخرى من وجهٍ آخرَ: «يَطَؤُهُم الجنُّ والإنسُ والدوابُّ بأرجُلهم حتى يقضيَ الله بينَ عباده».

واستأذنَ رجلٌ عمرَ ﷺ في القصصِ على الناس. فقال له: إني أخافُ أن تقصَّ عليهم فتَترفَّعُ عليهم في نفسك حتى يَضَعَكَ الله تحتَ أرجلِهم يومَ القيامة.

ومنها: نظرُ العبدِ إلى ثوابِ المتواضعينَ لله في الدنيا بالرِّفعةِ في الآخرةِ؛ فإنَّ مَن تواضعَ لله رفعَهُ.

ومنها- وليس هو في قدرةِ العبد ولكنه من فضلِ الله ورحمتِه-: ما يُعوِّضُ الله عبادَه العارفينَ به الزاهدينَ فيما يفنَى من المالِ والشرفِ ممَّا يُعجِّلُهُ الله لهم في الدنيا من شرفِ التقوى وهَيبَةِ الخلقِ لهم في الظاهر ومِن حلاوةِ المعرفةِ والإيمان والطاعةِ في الباطن. وهي الحياةُ الطيبةُ التي وَعَدَها الله لمن عَمِلَ صالِحًا من ذَكرٍ أو أنثى وهو مؤمنٌ، وهذه الحياةُ الطيبةُ لم يذقْها الملوكُ في الدنيا ولا أهلُ الرِّئاساتِ والحرصِ على الشرفِ، كما قال إبراهيمُ بنُ أدهمَ رحمه الله: لو يعلمُ الملوكُ وأبناءُ الملوكِ ما نحنُ فيه لَجَادَلونا عليه بالسيوفِ.

ومن رزقَه الله ذلك اشتَغل به عن طلبِ الشرفِ الزائل والرياسة الفانية . قال الله تعالىٰ : ﴿ وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ﴾[الأعراف : 26] ، وقال : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾[فاطر :10] .
وفي بعضِ الآثار : يقول الله ﷻ : « أنا العزيزُ فمن أرادَ العزَّةَ فليُطعِ العزيز ، ومن أرادَ عزَّ الدنيا والآخرةِ وشرفِهما فعليه بالتقوىٰ » .
وكان حجَّاجُ بنُ أرطأةَ يقولُ : قتلَني حبُّ الشرفِ . فقال له سوَّار : لوِ اتَّقيتَ الله شَرُفتَ .
وفي هذا المعنىٰ شعرٌ :

ألا إنما التقوىٰ هي العِزُّ والكرمُ ... وحُبُّكَ للدنيا هو الذلُّ والسَّقَم
وليس علىٰ عبدٍ تقيٍّ نقيصةً ... إذا حقَّقَ التقوىٰ وإن حَاكَ أو حَجَم

وقال صالحٌ الباجيُّ : الطاعةُ إمرةٌ والمطيعُ لله أميرٌ مُأَمَّرُ علىٰ الأمراءِ ؛ أَلا ترىٰ هَيبَتَهُ في صدورهم إن قالَ قَبلوا وإن أَمَرَ أطاعوا ، ثم يقولُ : يَحقُّ لمن أحسَنَ خدمتَك ومننتَ عليه بمحبَّتك أن تُذلِّلَ لهُ الجبابرةَ حتىٰ يَهابُوه لِهَيبَتِهِ في صدورِهم مِن هَيبَتِكَ في قلبِه ، وكلُّ الخيرِ مِن عندِكَ بأولياءِكَ .
وقال بعضُ السلفِ الصالح : مَن أسعدُ بالطاعةِ من مطيعٍ؟ أَلا وكلُّ الخيرِ في الطاعة ، أَلا وإنَّ المطيعَ لله مَلِكٌ في الدنيا والآخرةِ .
وقال ذو النون : مَ أكرمُ وأعزُّ ممَّن انقطعَ إلىٰ مَن مَلَكَ الأشياءَ بيده؟
دخلَ محمدُ بنُ سليمانَ أميرُ البصرةِ علىٰ حمَّاد بنِ سلمةَ وقعدَ بين يديه يسأله فقال له : يا أبا سلمة! ما لي كلَّما نظرتُ إليكَ ارتَعدتُ فَرَقًا منكَ؟ قال : لأن العالِمَ إذا أرادَ بعلمِه وجهَ الله خافَه كلُّ شيءٍ ، وإن أرادَ أن يُكثِّرَ به الكنوزَ خافَ مِن كلِّ شيءٍ .
ومن هذا قولُ بعضِهم : علىٰ قدرِ هَيبَتِكَ لله يخافُكَ الخلقُ ، وعلىٰ قدرِ محبَّتِكَ لله يُحبُّكَ الخلقُ ، وعلىٰ قدرِ اشتغالِكَ بالله تشتغلُ الخلقُ بأشغالكَ .
وكان عمرُ بن الخطاب ﷺ يومًا يمشي ووراءَه قومٌ من كبار المهاجرين فالتفتَ فرآهم فخَرُّوا علىٰ ركبهم هَيبَةً له ، فبكىٰ عمرُ ﷺ وقال : اللهمَ إنكَ تعلمُ أني أخوفُ لكَ منهم فاغفر لي .
وكان العُمَريُّ الزاهد قد خرجَ إلىٰ الكوفة إلىٰ الرشيد لِيَعظَه وينهَاهُ ، فوقعَ الرُّعبُ في عسكرِ الرشيد لـمَّا سمعوا بنزوله حتىٰ لو نزل بهم عدوٌّ مِائةُ ألفِ نفسٍ لما زادوا علىٰ ذلك .
وكان الحسنُ لا يستطيعُ أحدٌ أن يسألَه هَيبةً له ، وكان خواصُّ أصحابه يجتمعونَ ويطلبُ بعضُهم من بعضٍ أن يسألوهُ عن المسألةِ ، فإذا حضروا مجلسَ لم يجسروا علىٰ سؤاله حتىٰ ربَّما مكثوا علىٰ ذلك سنةً كاملةً هيبةً له . وكذلك كان مالكُ بن أنس يُهابُ أن يُسألَ ، حتىٰ قال فيه القائل :

يَدَعُ الجوابَ ولا يُراجَعُ هَيبةً ... والسَّائلونَ نواكِسُ الأذقانِ
نورُ الوقارِ وعِزُّ سلطانِ التُّقىٰ ... فهُوَ المَهيبُ وليسَ ذا سلطانِ

وكان بُدَلٌ العُقَيليُّ يقول: مَن أرادَ بعلمِه وجهَ الله تعالى أقبلَ الله عليه بوجهه وأقبلَ بقلوبِ العبادِ عليه، ومَن عمِلَ لغير الله صَرَفَ الله وجهَهُ عنه وصرفَ قلوبَ العبادِ عنه.

وقال محمدُ بن واسع: إذا أقبلَ العبدُ بقلبه على الله أقبلَ الله عليه بقلوبِ المؤمنين.

وقال أبو يزيدَ البسطاميُّ: رحمه الله: طَلَّقتُ الدنيا ثلاثًا بَتًّا لا رجعةَ لي فيها، وصِرتُ إلى ربي وحدي وناديتُه بالاستعانة: إلهي! أدعوكَ دعاءَ مَن لم يبقَ لهُ غيرُك. فلمَّا عرفَ صدقَ الدعاءِ من قلبي واليأسَ من نفسي كان أوَّلُ ما وَرَدَ عليَّ من إجابةِ هذا الدعاءِ أن أنساني نفسي بالكُلِّيةِ ونصبَ الخلائقَ بين يدي مع إعراضي عنهم.

وكان يُزارُ من البلدان، فلمَّا رأى ازدحام الناسِ عليه قال:

أصبحتُ للكلِّ مَولًى ... لأنني لكَ عبدُ

وفي الفؤادِ أمورٌ ... ما تُستطاعُ تُعَدُّ

لكنْ كِتمانُ حالي ... أحقُّ بي وأَشَدُّ

كتبَ وهبُ بن منبِّه إلى مكحول: أما بعدُ! فإنك أصبتَ بظاهرِ علمِكَ عند الناسِ شرفًا ومنزلةً، فاطلُب بباطنِ علمِكَ عند الله منزلةً وزُلفى، واعلَم أن إحدى المنزلتينِ تمنعُ مِنَ الأخرى.

ومعنى هذا: أن العلمَ الظاهرِ مِن تعلُّم الشرائعِ والأحكامِ والفتاوى والقصص والوَعظِ ونحو ذلك ممَّا يظهرُ للناسِ يَحصلُ به لصاحبه عندهم منزلةٌ وشرفٌ، والعلمُ الباطنُ المُودعُ في القلوب مِن معرفة الله وخشيته ومحبَّتِه ومراقبتِه والأنسِ به والشوقِ إلى لقائه والتوكلِ عليه والرِّضى بقضائه والإعراضِ عن عَرَضِ الدنيا الفاني والإقبالِ على جوهر الآخرةِ الباقي، كلُّ هذا يوجبُ لصاحبه عند الله منزلةً وزُلفى، وإحدى المنزلتينِ تمنعُ مِنَ الأخرى.

فمن وقفَ مع منزلته عند الخلقِ واشتغل بما حصلَ له عندهم بالعلمِ الظاهر من شرف الدنيا وكان همُّه حفظَ هذه المنزلةِ عند الخلقِ وملازَمَتَها وتربيَتَها والخوفَ من زوالِها كان ذلك حَظَّهُ من الله تعالى وانقطعَ به عنه، فهو كما قال بعضُهم: ويلٌ لمن كان حظُّهُ من الله الدنيا.

وكان السَّريُّ السَّقَطَيُّ يُعجبُهُ ما يرى من عِلم الجُنَيد وحُسنِ خطابه وسُرعةِ جوابه، فقال له يومًا وقد سأله عن مسألةٍ فأجابَ وأصاب:أخشى أن يكونَ حظَّكَ من الدنيا لسانُكَ. فكان الجُنَيد لا يزالُ يبكي من هذه الكلمة.

ومن اشتغلَ بتربية منزلتِهِ عند الله تعالى بما ذكرنا من العلم الباطنِ وصلَ إلى الله فاشتغلَ به عمَّا سواه، وكان له في ذلك شُغُلٌ عن طلبِ المنزلةِ عند الخلقِ، ومع هذا فإنَّ الله يُعطيهِ المنزلةَ في قلوبِ الخلقِ والشرفِ عندهم وإن كان لا يريدُ ذلك ولا يقفُ معه؛ بل يهربُ منه أشدَّ الهربِ ويَفِرُّ منه أشدَّ الفِرارِ خشيةَ أن يقطعُه الخلقُ عن الحقِّ جلَّ جلاله.

قال الله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾[مريم: 96] ، أي: في قلوبِ عباده.

وفي حديثٍ: « إنَّ الله إذا أحبَّ عبدًا نادي: يا جبريلُ! إنِّي أحبُّ فلانًا فيُحبُّه جبريلُ، ثم يُحبُّه أهلُ السماء، ثم يوضعُ له القَبولُ في الأرض »، والحديث معروفٌ، وهو مُخرَّجٌ في « الصحيح ».

وبكلِّ حالٍ؛ فطلبُ شرفِ الآخرة يحصلُ معه شرفٌ في الدنيا وإن لم يُرِده صاحبُهُ ولم يطلُبْه، وطلبُ شرفِ الدنيا لا يُجامعُ شرفَ الآخرةِ ولا يجتمع معه، والسعيدُ مَ آثَرَ الباقي علىٰ الفاني، كما في حديث أبي موسىٰ ﷺ، عن النبي – صلىٰ الله عليه وآله وسلم– أنه قال: « مَن أحبَّ دُنياهُ أضرَّ بآخِرَتِه، ومن أحبَّ آحرَته أضرَّ بدنياه ،فآثِرُوا ما يبقىٰ علىٰ ما يفنَىٰ » خرَّجه الإمام أحمدُ وغيره.

وما أحسنَ ما قال أبو الفتح البُستيُّ:

أمرانِ مفترقانِ لستُ تراهُـمَا ... يَتَشوَّقانِ لِخُلطـةٍ وتلاقـــي

طلبُ المعادِ مع الرياسةِ والعُلىٰ ... فَدَعِ الذي يفنَىٰ لِمَا هو باقي

تـمَّ الكلامُ علىٰ شرح الحديثن والحمدُ لله علىٰ كلِّ حال، وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

المنظومة الميمية في الوصايا والآداب العلمية

للشيخ حافظ بن أحمد الحكمي

ــ رحمه الله ــ

1	الحَمْدُ للهِ ربِّ العالمينَ عَلى	آلائه وهْوَ أهلُ الحَمْدِ والنِّعَمِ
2	ذي الملكِ والملكوتِ الواحِدِ الصمَدِ الـــــــ	بَرِّ المهيْمِنِ مُبدِي الخلْقِ مِن عَدَمِ
3	مَنْ عَلَّمَ الناسَ ما لا يعْلمونَ وبالــــ	بَيانِ أنْطقَهُمْ والخَطِّ بالقَلَمِ
4	ثُمَّ الصلاةُ على المُخْتارِ أكرَمِ مَبــــْـ	ـعُوثٍ بِخيْرِ هُدًى في أفضَلِ الأُمَمِ
5	والآلِ والصَّحْبِ والأتْباع قاطِبَةً	والتابعينَ بإحْسانٍ لِنَهْجِهِمِ
6	ما لاحَ نَجْمٌ وما شمسُ الضُّحى طَلَعَتْ	وعَدُّ أنْفاسِ ما في الكوْنِ مِن نَسَمِ
7	وبَعْدُ مَنْ يُرِدِ اللهُ العظيمُ بِهِ	خيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي دِينهِ القِيَمِ
8	وحَثَّ ربِّي وحَضَّ المؤمنينَ عَلى	تَفَقُّهِ الدِّينِ معْ إنْذارِ قَوْمِهِمِ
9	وامْتَنَّ رَبِّي عَلى كلِّ العِبادِ وكُلِ	الرُّسْلِ بالعِلْمِ فاذْكُرْ أكْبَرَ النِّـــــعَمِ
10	يَكفيكَ في ذاكَ أُولَى سُورَةٍ نَزَلَتْ	عَلى نَبِيِّكَ أعْني سورَة القَلَمِ
11	كذاكَ فِي عِدَّةِ الآلاءِ قدَّمَهُ	ذِكْرًا وقَدَّمَهُ في سُورَةِ النِّعَمِ
12	ومَيزَ اللهُ حَتى في الجوارِحِ مَا	مِنْها يُعلمُ عنْ باغٍ ومُغْتَشِمِ
13	وذمَّ ربِّي تعالَى الجاهِلِينَ بهِ	أشَدَّ ذمٍّ فَهُمْ أدْنى مِنَ البَهَمِ
14	وليْسَ غِبْطَةٌ الا في اثْنَتَيْنِ هُما الْــــــ	إحْسانُ في المالِ أو في العِلْمِ والحكمِ
15	ومِنْ صِفاتِ أُولِي الإيمانِ نَهْمَتُهُمْ	فِي العِلْمِ حتى اللّقَى أغبط بذِي النَّهَمِ
16	العِلْمُ أغْلَى وأحْلى ما لَهُ اسْتَمَعَتْ	أذْنٌ وأعْرَبَ عنهُ ناطِقٌ بِفَمِ
17	العِلْمُ غايَتُهُ القُصْوَى ورُتْبَتُهُ الْــــــ	عَلْياءُ فاسْعَوا إليهِ يَا أُولِي الهِمَمِ
18	العِلْمُ أشْرَفُ مَطْلوبٍ وَطالِبُهُ	للهِ أكْرَمُ مَن يَمْشِي على قَدَمِ

19	العِلْمُ نورٌ مُبِينٌ يَسْتَضِيءُ بِهِ	أهْلُ السَّعادَةِ والجُهَّالُ فِي الظُّلَمِ
20	الْعِلْمُ أعْلَى حَياةٍ للعِبادِ كَما	أهْلُ الجَهالَةِ أمْواتٌ بِجَهْلِهِمِ
21	لا سَمْع لا عَقْل بل لا يُبْصِرونَ وفِي السْـــــ	سَعِيرِ مُعْتَرِفٌ كُلٌّ بِذَنْبِهِمِ
22	فالجَهْلُ أَصْلُ ضَلَالِ الخَلْقِ قاطِبَةً	وأصْلُ شِقْوَتِهِمْ طُرًّا وظُلْمِهِمِ
23	والعِلْمُ أصْلُ هُداهُمْ مَعْ سَعادَتِهِمْ	فلا يَضِلُّ ولا يَشْقى ذَوُو الْحِكَمِ
24	والخَوفُ بالجهْلِ والحُزْنُ الطويلُ بِهِ	وعَن أُولِي العِلْمِ مَنْفِيَّانِ فَاعْتَصِمِ
25	العِلْمُ واللهِ مِيراثُ النُّبُوَّةِ لا	ميراثَ يُشْبِهُهُ طوبَى لِمُقْتَسِمِ
26	لأَنَّهُ إرْثُ حَقٍّ دائِم أَبَدًا	وما سِواهُ إلى الإِفْنَاءِ والعَدَمِ
27	ومنْه إرْثُ سُلَيْمانَ النُّبُوَّةَ والْـــــــ	فَضْلَ المُبِينَ فمَا أوْلاهُ بِالنِّعَمِ
28	كذَا دَعا زكريا ربَّهُ بِوَلِي	أَلآلِ خَوفَ الموالِي مِن وَرائِهِمِ
29	العِلْمُ مِيزانُ شَرْعِ اللهِ حيثُ بِهِ	قِوامُهُ وبِدُونِ العِلْمِ لَمْ يَقُمِ
30	وكُلَّما ذُكِرَ السُّلطانُ في حُجَجٍ	فالعِلْمُ لا سُلْطَةُ الأيْدِي لَمُحْتَكِمِ
31	فسُلطَة اليَدِ بالأبْدانِ قاصِرَةٌ	تَكونُ بالعَدْلِ أوْ بالظُّلْمِ والغَشَمِ
32	وسُلْطَةُ العِلْمِ تَنْقادُ القُلوبُ لَها	إلَى الهُدَى وإلَى مَرْضاةِ رَبِّهِمِ
33	ويَذْهَبُ الدِّينُ والدُّنْيا إذَا ذَهَبَ الْـــــــــ	عِلْمُ الّذِي فيهِ مَنْجاةٌ لِمُعْتَصِمِ
34	العِلْمُ يا صَاحِ يَسْتَغْفِرْ لِصاحِبِهِ	أهلُ السّماوَاتِ والأرْضِينَ مِنْ لَمَمِ
35	كَذَاكَ تَسْتَغِفرُ الحْيتانُ في لُجَجٍ	مِن البِحارِ لَه فِي الضَّوْءِ والظُّلَمِ
36	وخارِجٌ فِي طِلابِ العِلمِ مُحْتَسِبًا	مُجاهِدٌ في سَبيلِ اللهِ أيُّ كَمِي
37	وإنَّ أجْنِحَةَ الأمْلاكِ تَبْسِطُها	لِطالِبِيهِ رضًا مِنْهُمْ بِصُنْعِهِمِ
38	والسَّالِكونَ طريقَ العِلْمِ يَسْلُكُهُمْ	إلَى الجِنانِ طريقًا بارئُ النَّسَمِ
39	والسَّامِعُ العِلْمَ والوَاعِي لِيَحْفَظَهُ	مُؤَدِّيًا ناشِرًا إيَّاهُ في الأمَمِ
40	فيَا نَضارَتَهُ إذْ كانَ مُتَّصِفًا	بِذا بِدَعْوَةِ خَيْرِ الخَلْقِ كُلِّهِمِ

41	كَفاكَ فِي فَضْلِ أهْلِ العِلْمِ أنْ رُفِعُوا	مِنْ أجْلِهِ دَرَجاتٍ فوْقَ غَيْرِهِمِ
42	وكانَ فضْلُ أبينا فِي القَديمِ عَلى الْـــــــ	أمْلاكِ بالعِلْمِ مِن تَعْليمِ رَبِّهِمِ
43	كذاكَ يوسُفُ لَمْ تَظْهَرْ فَضِيلَتُهُ	لِلعالَمينَ بِغَيْرِ العِلْمِ والْحِكَمِ
44	وما اتِّباعُ كَليمِ اللهِ لِلْخَضِرِ الْـــــــ	مَعْروفِ إلا لعِلْمٍ عَنْهُ مُنْبَهِمِ
45	مَعْ فَضْلِهِ بِرِسالاتِ الإلَهِ لَهُ	وَمَوْعِدٍ وسَماعٍ مِنْهُ لِلْكَلِمِ
46	وقَدَّمَ المصْطفى بالعِلْمِ حامِلَهُ	أعْظِمْ بِذلِكَ تَقْديمًا لِذِي قَدَمِ
47	كفَاهُمُو أنْ غَدَوْا لِلْوَحْيِ أوْعِيَةً	وأضْحَتِ الآيُ مِنْهُ فِي صُدورِهِمِ
48	وأنْ غَدَوْا وكلاءَ في القِـــيامِ بِـــــه	قولا وفعلا وتعليمًا لِـــــغيرِهِمِ
49	وخصَّهُمْ ربُّنا بَصَرًا بِخَشْيَتِهِ	وعَقْلُ أمْثالِهِ فِي أصْدَقِ الكَلِمِ
50	ومَعْ شَهادَتِهِ جاءَتْ شَهادَتُهُمْ	حَيْثُ اسْتَجابُوا وأهْلُ الجَهْلِ في صَمَمِ
51	وَيَشْهَدُونَ عَلى أهْلِ الجَهالَةِ بالْـــــــ	مَوْلَى إذا اجتَمَعُوا فِي يَوْمِ حَشْرِهِمِ
52	والعَالِمُونَ عَلى العُبَّادِ فَضْلُهُمُو	كالبَدْرِ فَضْلا عَلى الدُّرِّيِّ فَاغْتَنِمِ
53	وعَالِمٌ مِنْ أُولِي التَّقْوَى أشدُّ عَلى الــــــــ	شَّـــيْطانِ مِنْ ألْفِ عَبَّادٍ بِجَمْعِهِمِ
54	ومَوْتُ قَوْمٍ كَثِيرُو الْعَدِّ أيْسَرُ مِنْ	حَبْرٍ يَموتُ مُصَابٌ واسِعُ الألَمِ
55	كَمَا مَنافِعُهُ فِي العالَمِ اتَّسَعَتْ	وَلِلشَّيَاطِينِ أفْراحٌ بِمَوْتِهِمِ
56	تَاللهِ لَوْ عَلِمُوا شَيْئًا لَمَا فَرِحُوا	لأنَّ ذَلِكَ مِن أعْلامِ حَتْفِهِمِ
57	همُ الرُّجُومُ بِحَقٍّ كُلَّ مُسْتَرِقٍ	سَمْعًا كَشُهْبِ السَّمَا أعْظِمْ بِشُهْبِهِمِ
58	لأنَّهَا لِكِلا الجِنْسَيْنِ صائِبَةٌ	شيطانَ إنْسٍ وجِنٍّ دونَ بَعْضِهِمِ
59	هُمُ الهُداةُ إلى أهْدَى السَّبِيلِ وأهْــــــ	لُ الجَهْلِ عنْ هَدْيِهِمْ ضَلُّوا لِجَهْلِهِمِ
60	وفَضْلُهُمْ جاءَ في نصِّ الكِتابِ وفِي الْـــــ	حَديثِ أشْهَرُ مِنْ نارٍ على عَلَمِ
نبذةٌ في وَصيةِ طالبِ العلم		
61	يا طالِبَ العِلمِ لا تَبْغِي به بَدَلا	فقَدْ ظَفِرْتَ ورَبِّ اللَّوْحِ والْقَلَمِ

62	وقَدِّسِ العِلمَ واعْرِفْ قَدْرَ حُرْمَتِهِ	فِي القَوْلِ والفِعْلِ والآدابَ فَالْتَزِمِ
63	واجْهَدْ بِعَزْمٍ قَوِيٍّ لا انْثِنَاءَ لَهُ	لَوْ يَعْلَمُ الْمَرْءُ قَدْرَ العِلْمِ لَمْ يَنَمِ
64	والنُّصْحُ فابْذُلْهُ لِلطُّلابِ مُحْتَسِبًا	فِي السِّرِّ والْجَهْرِ والأُسْتاذَ فَاحْتَرِمِ
65	ومَرْحَبًا قُلْ لِمَنْ يَأتِيكَ يَطْلُبُهُ	وفِيهِمِ احْفَظْ وَصايَا الْمُصْطَفَى بِهِمِ
66	والنِّيَّةَ اجْعَلْ لِوَجْهِ اللهِ خالصَةً	إنَّ البِناءَ بدونِ الأصْلِ لَمْ يَقُمِ
67	ومَن يَكُنْ لِيَقُولَ الناسُ يَطْلُبُهُ	أخْسِرْ بِصَفْقَتِهِ فِي مَوْقِفِ النَّدَمِ
68	ومَنْ به يَبْتَغِي الدُّنْيا فَلَيْسَ لَهِ	يَومَ القِيامَةِ مِن حَظٍّ ولا قَسَمِ
69	كَفَى بِهِ (مَن كانَ) فِي شورَى وهُودٍ وفِي الْــ	إسْراءِ مَوْعِظَةً لِلحَاذِقِ الفَهِمِ
70	إيَّاكَ واحْذَرْ مُمارَاةَ السَّفِيهِ بِهِ	كَذا مُباهاةَ أهْلِ العِلْمِ لا تَرُمِ
71	فإنَّ أبْغَضَ كلِّ الخَلْقِ أجْمَعِهِمْ	إلى الإلَهِ أَلَدُّ الناسِ فِي الخِصَمِ
72	والعُجْبَ فاحْذَرْهُ إنَّ العُجْبَ مُجْتَرِفٌ	أعْمالَ صاحِبِهِ في سَيْلِهِ العَرِمِ
73	وبِالْمُهِمِّ الْمُهِمِّ ابْدَأْ لِتُدْرِكَهُ	وَقَدِّمِ النَّصَّ والآرَاءَ فَاتَّهِمِ
74	قَدِّمْ وُجوبًا عُلومَ الدِّينِ إنَّ بِها	يَبِينُ نَهجُ الهُدَى مِن مُوجِبِ النِّقَمِ
75	وكلُّ كَسْرِ الفَتَى فالدِّينُ جابِرُهُ	وَالكَسْرُ فِي الدِّينِ صَعْبٌ غَيْرُ مُلْتَئِمِ
76	دَعْ عَنْكَ ما قالَهُ العَصْرِيُّ مُنْتَحِلا	وبالعَتِيقِ تَمَسَّكْ قطُّ واعْتَصِمِ
77	ما العِلْمُ إلا كِتابُ اللهِ أو أثَرٌ	يَجْلو بِنُورِ هُداهُ كلَّ مُنْبَهِمِ
78	مَا ثَمَّ عِلْمٌ سِوى الوَحْيِ المبِـــينِ ومَا	مِنْه اسْتُمِدّ ألا طُوبَى لِمُغْتَنِمِ
79	والكَتْمُ لِلعِلْمِ فاحْذَ إنَّ كاتِمَهُ	فِي لَعْنَةِ اللهِ والأقْوامِ كلِّهِمِ
80	ومِن عُقوبَتِهِ أنْ فِي الْمَعادِ لَهُ	مِنَ الجَحيمِ لِجَامٌ لَيْسَ كَاللُّجُمِ
81	وصائِنُ العِلْمِ عمَّنْ لَيْسَ يَحْمِلُهُ	ما ذا بِكِتْمانِ بلْ صَوْنٌ فَلا تَلُمِ
82	وإنَّمَا الكَتْمُ مَنْعُ العِلْمِ طالِبَهُ	مِن مُسْتَحِقٍّ لَهُ فَافْهَمْ ولا تَهِمِ
83	وأتْبِعِ العِلمَ بالأعْمالِ وادْعُ إلَى	سَبيلِ ربِّكَ بالتِّبْيانِ والْحِكَمِ

84	واصْبِرْ عَلى لاحِقٍ مِنْ فِتْنَةٍ وأذَى	فِيهِ وفِي الرُّسْلِ ذكرى فاقْتَدِهْ بِهِمِ
85	لَوَاحِدٌ بِكَ يَهْدِيهِ الإلَهُ لَذَا	خَيْرٌ غَدًا لكَ مِنْ حُمْرٍ مِن النَّعَمِ
86	واسْلُكْ سَواءَ الصِّراطِ المسْتَقِيمِ ولا	تَعْدِلْ وقُلْ ربِّيَ الرحْمنُ واسْتَقِمِ
	الوصيةُ بكتابِ اللهِ عزَّ وجلّ	
87	وَبَالتَّدَبُّرِ والتّرتيلِ فَاتْلُ كِتا	بَ اللهِ لاسِيَّما في حِنْدسِ الظُّلَمِ
88	حَكِّمْ بَراهِينَهُ واعْمَلْ بِمُحْكَمِهِ	حِلًّا وحَظْرًا ومَا قدْ حَدَّهُ أقِمِ
89	واطْلُبْ مَعانِيهِ بالنَّقْلِ الصّريحِ ولا	تَخُضْ بِرَأيِكَ واحْذَرْ بَطْشَ مُنْتَقِمِ
90	فمَا عَلِمْتَ بِمَحْضِ النَّقْلِ مِنْهُ فَقُلْ	وَكِلْ إلَى اللهِ مَعْنى كلِّ مُنْبَهِمِ
91	ثُمّ الْمِرَا فيه كُفْرٌ فاحْذَرَنْهُ ولا	يَسْتَهْوِيَنَّكَ أقوامٌ بِزَيْغِهِمِ
92	وعنْ مَناهِيهِ كُنْ يا صاحِ مُنْزَجِرًا	والأمْرُ منهُ بلا تِردادِ فالْتَزِمِ
93	وما تَشابَهَ فَوِّضْ لِلإلهَ وَلا	تَخُضْ فَخَوْضُكَ فيه مُوجِبُ النِّقَمِ
94	ولا تُطِعْ قولَ ذي زيْغٍ يُزَخْرِفُهُ	مِنْ كُلِّ مُبْتَدِعٍ في الدين مُتَّهَمِ
95	حَيْرانَ ضلَّ عنِ الحقِّ الْمُبينِ فلا	يَنْفَكُّ مُنْحَرِفًا مُعْوَجَّ لَمْ يَقُمِ
96	هُوَ الكِتابُ الذي مَن قامَ يَقْرَؤُهُ	كَأنَّما خاطَبَ الرَّحْمَنَ بالكَلِمِ
97	هُوَ الصِّراطُ هُو الْحَبْلُ الْمَتِينُ هُوَ الْـــــــ	ميزانُ والعُرْوَةُ الوُثْقَى لَمُعْتَصِمِ
98	هُو البَيانُ هُو الذِّكْرُ الْحَكِيمُ هُوَ التْـــــــ	تَفْصِيلُ فاقْنَعْ بِهِ فِي كُلِّ مُنْبَهِمِ
99	هُو البَصائِرُ والذكرَى لِمُدَّكِرٍ	هو الْمواعِظُ والبُشْرى لِغَيرِ عَمِي
100	هُو الْمُنَزَّلُ نُورًا بَيِّنًا وهُدًى	وهو الشِّفاءُ لِما فِي القَلْبِ مِن سَقَمِ
101	لَكَنَّهُ لِأُولِي الإيمانِ إذْ عَمِلُوا	بِما أتَى فِيه مِنْ عِلْمٍ ومِنْ حِكَمِ
102	أمَّا عَلى مَن تَوَلّى عنه فهو عَمًى	لِكَوْنِهِ عَنْ هُداهُ الْمُسْتَنِيرِ عَمِي
103	فمَنْ يُقِمْهُ يَكُنْ يومَ الْمَعادِ لَهُ	خَيرَ الإمامِ إلَى الفِرْدَوسِ والنِّعَمِ
104	كمَا يَسُوقُ أولِي الإعْراضِ عنهُ إلَى	دارِ الْمَقامِعِ والأنْكالِ والألَمِ

105	وقَدْ أتَى النصُّ فِي الطُّولَيْنِ أنَّهما	ظِلٌّ لِتالِيهما فِي مَوْقِفِ الغُمَمِ
106	وأنَّه فِي غَدٍ يَأتِي لِصاحِبِهِ	مُبَشِّرًا وحَجِيجًا عَنْهُ إنْ يَقُمِ
107	والْمُلْكَ والْخُلْدَ يُعْطِيهِ ويُلْبِسُهُ	تاجَ الوَقارِ الإلهُ الْحَقُّ ذو الكَرَمِ
108	يُقالُ إقْرَأْ ورَتِّلْ وارْقَ فِي غُرَفِ الْـــــــــــ	جَناتِ كَيْ تَنْتَهِي لِلْمَنْزِلِ النَّعِمِ
109	وحُلَّتانِ مِن الفِرْدَوسِ قَدْ كُسِيَتْ	لِوالِدَيْهِ لَها الأكْوانُ لَمْ تَقُمِ
110	قالَا بِماذا كُسِيناهَا فقيلَ بِما	أقْرَأْتُما ابْنَكُما فاشْكُرْ لِذِي النِّعَمِ
111	كَفَى وحَسْبُكَ بالقُرْآنِ مُعْجِزَةً	دامَتْ لَدَيْنَا دوامًا غيْرَ مُنْصَرِمِ
112	لَمْ يَعْتَرِهْ قطُّ تَبْدِيلٌ ولا غِيَرٌ	وَجَلَّ فِي كَثْرَةِ التَّرْدادِ عنْ سَأَمِ
113	مُهَيْمِنًا عَرَبِيًّا غَيرَ ذِي عِوَجٍ	مُصَدِّقًا جاءَ فِي التَّنْزِيلِ فِي القِدَمِ
114	فيهِ التفاصِيلُ للأحْكامِ مَعْ نَبَأٍ	عمَّا سَيأتِي وعنْ ماضٍ مِن الأمَمِ
115	فانْظُرْ قَوارِعَ آياتِ الْمَعادِ بِهِ	وانْظُرْ لِما قَصَّ عَنْ عادٍ وعنْ إرَمِ
116	وانْظُرْ بِهِ شَرْحَ أحْكامِ الشَّرِيعَةِ هلْ	تَرى بِها مِن عَوِيصٍ غَيرِ مُنْفَصِمِ
117	أمْ مِن صَلاحٍ ولَمْ يَهْدِ الأنامَ لَهُ	أمْ بابُ هُلْكٍ ولَمْ يَزْجُرْ ولَمْ يَلُمِ
118	أمْ كانَ يُغْنِي نَقِيرًا عن هِدايَتِهِ	جَمِيعُ ما عندَ أهلِ الأرضِ مِنْ نُظُمِ
119	أخبارُهُ عِظَةٌ أمثالُهُ عِبَرٌ	وكُلُّهُ عَجَبٌ سُحْقًا لِذِي صَمَمِ
120	لَمْ تَلْبَثِ الْجِنُّ إذْ أصْغَتْ لِتَسْمَعَهُ	أنْ بادَرُوا نُذُرًا مِنهم لِقَوْمِهِمِ
121	اللهُ أكْبَرُ ما قدْ حازَ مِن عِبَرٍ	ومِن بَيانٍ وإعْجازٍ ومِن حِكَمِ
122	واللهُ أكْبَرُ إذْ أعْيَتْ بلاغَتُهُ	وحُسْنُ تَرْكِيبِهِ للعُرْبِ والعَجَمِ
123	كمْ مُلْحِدٍ رامَ أن يُبْدِي مُعارَضَةً	فعَادَ بالذُّلِّ والْخُسْرانِ والرَّغَمِ
124	هيْهاتَ بُعْدًا لِما رامُوا وما قَصَدُوا	وما تَمَنَّوْا لَقَدْ بَاؤُوا بِذُلِّهِمِ
125	خابَتْ أمانِــــيُّهُمْ شاهَتْ وُجُوهُهُمُ	زَاغَتْ قُلوبُهُمُ عنْ هَدْيِهِ القِيَمِ

126	كَمْ قَدْ تَحدَّى قريشًا في القديمِ وهُمْ	أهلُ البلاغةِ بينَ الخَلْقِ كُلِّهِمِ
127	بِمِثْلِهِ وبِعَشْرٍ ثمَّ واحدةٍ	فلَمْ يَرُومُوهُ إذْ ذا الأمرُ لَمْ يُرَمِ
128	الجنُّ والإنسُ لم يأتوا لَوِ اجْتمعوا	بمِثْلِهِ ولَوِ انْضمُّوا لِمِثْلِهِمِ
129	أنَّى وكيْفَ وربُّ العَرْشِ قائِلُهُ	سبْحانَهُ جلَّ عنْ شِبْهٍ له وسَمِي
130	مَا كان خَلْقًا ولا فَيْضًا تَصوَّرَهُ	نَبِيُّنا لا ولا تَعبيرَ ذِي نَسَمِ
131	بلْ قالَهُ ربُّنا قوْلا وأنْزَلَهُ	وَحْيًا عَلى قلْبِهِ الْمُسْتَيْقِظِ الفَهِمِ
132	واللهُ يَشْهَدُ والأملاكُ شاهِدَةٌ	والرُّسْلُ معْ مُؤْمِنِي العُرْبَانِ والعَجَمِ
	الوَصِـــيَّـــــةُ بالسُّــــــنَّـــــةِ	
133	ارْوِ الْحَدِيثَ ولازِم أهْلَهُ فهُمُ الْـــــــ ـــ	ناجُونَ نَصًّا صريحًا للرّسولِ نُمِي
134	سامِتْ مَنابِرَهُمْ واحْمِلْ محابِرَهُمْ	والْزَمْ أكابِرَهُم في كلِّ مُزْدَحَمِ
135	اسْلُكْ مَنارَهُمُو والْزَمْ شِعارَهُمُ	واحْطُطْ رَحَالَكَ إنْ تَنْزِلْ بِسُوحِهِمِ
136	هُمُ العُدولُ لِحَمْلِ العِلمِ كَيْفَ وَهُمْ	أُولُو المكارِمِ والأخْلاقِ والشِّيَمِ
137	هُمُ الأفاضِلُ حازُوا خيْرَ مَنْقَبَةٍ	هُمُ الأُولَى بِهِمُ الدِّينُ الْحَنيفُ حُمِي
138	هُمُ الْجهابِذَةُ الأعْلامُ تعرِفُهُمْ	بينَ الأنامِ بِسيمَاهُمْ وَوَسْمِهِمِ
139	هُمْ ناصِرُو الدِّينِ والْحامُونَ حَوْزَتَهُ	مِنَ العَدُوِّ بِجيشٍ غيرِ مُنْهَزِمِ
140	هُمُ البُدورُ ولكنْ لا أُقولَ لَهُمْ	بلِ الشُّموسُ وقد فاقُوا بِنُورِهِمِ
141	لم يبقَ للشمسِ من نورٍ إذا أفلتْ	ونورهم مشرقٌ من بعد رَمسِهِمِ
142	لَهُمْ مَقامٌ رَفيعٌ ليْسَ يُدْرِكُهُ	مِنَ العِبادِ سِوَى السَّاعِي كَسَعْيِهِمِ
143	أبْلِغْ بِحُجَّتِهِمْ أرْجِحْ بِكِفَّتِهِمْ	في الفَضْلِ إنْ قِسْتَهُمْ وَزْنًا بِغَيْرِهِمِ
144	كفاهُمُو شَرَفًا أنْ أصبحُوا خَلَفًا	لسَيِّدِ الحُنَفَا في دينِهِ القِيَمِ
145	يُحيُونَ سُنَّتَهُ مِنْ بَعْدِهِ فَلَهُمْ	أوْلَى بهِ مِنْ جَميعِ الخَلْقِ كُلِّهِمِ

146	يَرْوُونَ عنهُ أحادِيثَ الشريعةِ لا	يَأْلُونَ حِفْظًا لَها بالصَّدْرِ والقَلَمِ
147	يَنْفُونَ عنها انْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ وتَحْـــــ	ريفَ الغُلاةِ وتَأْويلَ الغَوِيْ اللَّئِمِ
148	أدَّوا مَقالَتَهُ نُصْحًا لأمَّتِهِ	صانَوْا رِوايَتَها عنْ كُلِّ مُتَّهَمِ
149	لَمْ يُلْهِهِمْ قطُّ مِن مالٍ ولا خَوَلٍ	ولا ابْتِياعٍ ولا حَرْثٍ ولا نَعَمِ
150	هَذا هُو الْمَجدُ لا مُلْكٌ ولا نَسَبٌ	كَلَّا ولا الْجمعُ لِلأموالِ والْخَدَمِ
151	فكُلُّ مَجْدٍ وَضِيعٌ عِند مَجْدِهِمُو	وكلُّ مُلْكٍ فَخُدَّامٌ لِمُلْكِهِمِ
152	والأمْنُ والنُّورُ والفَوْزُ العظيمُ لَهُمْ	يَوْمَ القِيامَةِ والبُشرَى لِحِزْبِهِمِ
153	فإنْ أرَدْتَ رُقِيًّا نَحوَ رُتْبَتِهِمِ	ورُمْتَ مَجْدًا رفِيعًا مِثْلَ مَجْدِهِمِ
154	فاعْمَدْ إلَى سُلَّمِ التقوَى الذِي نَصَبُوا	واصْعَدْ بِعَزْمٍ وَجِدَّ مِثْلَ جِدِّهِمِ
155	واعْكُفْ عَلى السُّنَّةِ الْمُثْلى كَما عَكَفُوا	حِفْظًا معَ الكَشْفِ عن تَفْسِيرِها وَدُمِ
156	واقْرَأْ كِتابًا يُفِيدُ الاصْطِلاحُ بِهِ	تَدْرِي الصَّحيحَ مِن الموْصوفِ بالسَّقَمِ
157	فهْيَ الْمَحَجَّةُ فاسْلُكْ غيرَ مُنْحَرِفٍ	وهيَ الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحاءُ فاعْتَصِمِ
158	وَحْيٌ مِنَ اللهِ كالقُرْآنِ شاهِدُهُ	في سورةِ النَّجْمِ فاحْفَظْ ولا تَهِمِ
159	خيرُ الكلامِ ومِنْ خيرِ الأنامِ بَدَا	مِن خيرِ قَلْبٍ بِهِ قدْ فاهَ خيرُ فمِ
160	وهيَ البيانُ لأسْرارِ الكتابِ فبِالْـــــ	إعْراضِ عنْ حُكْمِها كُنْ غَيرَ مُتَّسِمِ
161	حَكِّمْ نَبِيَّكَ وانْقَدْ وارْضَ سُنَّتَهُ	مَعَ اليَقينِ وحَوْلَ الشَّكِّ لا تَحُمِ
162	واعْضُضْ عَلَيها وجانِبْ كلَّ مُحْدَثَةٍ	وقُلْ لِذِي بِدْعَةٍ يَدْعُوكَ لا نَعَمِ
163	فمَا لِذِي ريبَةٍ في نفسِهِ حَرَجٌ	مِمَّا قَضَى قطُّ في الإيمانِ مِنْ قَسَمِ
164	(فَلا وَرَبِّكَ) أقْوَى زاجِرًا لأُوْلِي الْـــــ	ألْبابِ والْمُلْحِدُ الزِّنْدِيقُ في صَمَمِ
	في الفرائض والآلةِ والتَّحْذيرِ منَ العُلومِ الْمُبْتدَعَةِ	
165	وبالفرائضِ نصفِ العِلْمِ فَاعْنَ كَما	أوْصَى الإلهُ وخيرُ الرسْلِ كُلِّهِمِ
166	مِن فضْلِها أن تَوَلَّى اللهُ قِسْمَتَها	ولَمْ يَكِلْها إلى عُرْبٍ ولا عَجَمِ

167	(يُوصيكُمُ اللهُ) آيٌ مِنْ بَعْدِها اتَّصَلَتْ	وفي الكَلالَةِ أُخْرَى فَادْنُ واغْتَنِمِ
168	وخُذْ إذا شِئتَ ما قدْ تَستَعِينُ بِهِ	مِنْ آلةٍ تُلْفِها حَلًّا لِمُنْبَهِمِ
169	كالنَّحْوِ والصَّرْفِ والتّجْويدِ معْ لُغَةٍ	يُدْرَى بِها حَلُّ ما يَخْفى مِنَ الكَلِمِ
170	واحْذَرْ قوانينَ أرْبابِ الكَلامِ فمَا	بِها مِنَ العِلْمِ غيرُ الشَّكِّ والتُّهَمِ
171	قامُوسُ فَلْسَفَةٍ مِفْتاحُ زَنْدَقَةٍ	كَمْ منْ مُلِمٍّ بِهِ قدْ باءَ بالنَّدَمِ
172	رامُوا بِها عَزْلَ حُكْمِ اللهِ واقْتَرَحُوا	لِلْحَقِّ رَدًّا وإنْفاذًا لِحُكْمِهِمِ
173	يُرُوْكَ إنْ تَزِنِ الوَحْيَيْنِ مُجْتَرِئًا	عَليهما بِعُقُولِ الْمُغْفلِ العَجَمِ
174	وأنْ تُحَكِّمَها فِي كُلِّ مُشْتَجَرٍ	إذْ لَيْسَ فِي الوَحْيِ مِن حُكْمٍ لِمُحْتَكِمِ
175	أمّا الكِتابُ فحَرِّفْ عَنْ مَواضِعِهِ	إذْ لَيْسَ يُعْجِزُكَ التَّحْريفُ لِلْكَلِمِ
176	كذا الأحادِيثُ آحادٌ وليْس بِها	بُرْهانُ حقٍّ ولا فصْلٌ لِمُخْتَصِمِ
177	وقَدْ أبَى اللهُ إلا نَصْرَ ما خَذَلُوا	وكَسْرَ ما نَصَرُوا مِنْهُمْ عَلى رَغَمِ
178	كَذا الكَهانَةُ والتَّنْجيمُ إنَّهُمَا	كُفْرانِ قَدْ عَبَثَا بالناسِ مِنْ قِدَمِ
179	إسنادُهَا حِزْبُ إبْليسَ اللَّعينِ كَمَا	مُتُونُها أكْذَبُ الْمَنْقولِ مِنْ كَلِمِ
180	مَا لِلتُّرابِ وما لِلْغَيْبِ يُدْرِكُهُ	مَا لِلتَّصَرُّفِ والمخْلوقُ مِنْ عَدَمِ
181	لوْ كانتِ الْجِنُّ تَدْرِي الغَيْبَ ما لَبِثَتْ	دَهْرًا تُعالِجُ أصنافًا مِنَ الأَلَمِ
182	أمَّا النُّجُومُ فَزَيْنٌ لِلسَّمَا ورُجُو	مًا للشَّياطِينِ طَرْدًا لاسْتِمَاعِهِمِ
183	كما بِها يَهْتَدِي السَّارِي لِوِجْهَتِهِ	فِي البَرِّ والبَحْرِ حيثُ السيْرُ فِي الظُّلَمِ
184	والنَّيِّرَانِ بِحُسْبَانٍ وذلكَ تَقْـــــ	دِيرُ العَزيزِ العَلِيمِ الْمُسْبِغِ النِّعَمِ
185	فمَنْ تَأَوَّلَ فيها غيْرَ ذاكَ قَفَا	ما لَيْسَ يَعْلَمُهُ فَهو الكَذُوبُ سِمِ
186	كَالْمُقْتَفِينَ لِعُبَّادِ الْهَياكِلِ فِي	عَزْوِ التَّصَرُّفِ والتأثِيرِ للنُّجُمِ
187	والكاتِبِينَ نِظامًا فِي عِبادَتِها	عَقْدًا وكَيْفًا وتَوْقِيتًا لِنُسْكِهِمِ
188	فَذَا سُعُودٌ وذَا نَحْسٌ وطَلْسَمُهُ	كَذَا وناسِبُهُ ذا كمْ بِخَرْصِهِمِ

189	واحْذَرْ مَجَلّاتِ سُوءٍ في الْمَلَا نُشِرَتْ	تَدعُو جِهارًا إلى نَشْرِ البَلَا بِهِمِ
190	تَدْعُو لِنَبْذِ الْهُدَى والدِّينِ أجْمَعِهِ	والعِلْمِ بلْ كلِّ عَقْلٍ كامِلٍ سَلِمِ
191	ولِلرُّكُونِ إلى الدنْيا وزُخْرُفِها	والرَّتْعِ كالحَيوانِ السّائِمِ البَهِمِ
192	ولِلتَّهَتُّكِ جَهْرًا والخَلاعَةِ معْ	نَبْذِ الْمُروءَةِ والأخْلاقِ والشِّيَمِ
193	والاعْتِمادِ عَلى الأسْبابِ مُطْلَقِها	دُونَ الْمُسَبِّبِ والخَلَّاقِ مِنْ عَدَمِ
194	والكُفْرِ باللهِ والأمْلاكِ معْ رُسُلٍ	والوَحْيِ معْ قَدَرٍ والبَعْثِ لِلرِّمَمِ
195	وَلِاعْتِناقِ الطَّبيعيَّاتِ لَيْسَ لَها	مُدَبِّرٌ فاعِلٌ ما شاءَ لَمْ يَضِمِ
196	قامَتْ لَدَيْهِمْ بِلا قَيُّومٍ اْبدَعَها	مُسَخَّراتٍ لِغاياتٍ مِنَ الْحِكَمِ
197	سَمَّوْهُ مَدْحًا لهُ العِلْمَ الْجدِيدَ بَلِ الْـــــ	كُفْرَ القَدِيمِ ومِنْهُ القَوْلُ بالقِدَمِ
198	تَقَسَّمُوهُ الْمَلاحِيدُ الطُّغاةُ عَلى	سَهْمٍ وأكثَرَ لا أهْلًا بِذِي القِسَمِ
199	وكُلَّما مَرَّ قَرْنٌ أوْ قُرُونٌ اَتَوْا	بِهِ عَلى صُورَةٍ أُخْرَى لِخُبْثِهِمِ
200	بَعْضُ الْخَبِيثُ عَلى بَعْضٍ سَيَرْكُمُهُ	رَبِّي وَيَجْعَلُهُ في النارِ للضَّرَمِ
201	واعْجَبْ لِعُدْوانِ قَوْمٍ حاوَلُوا سَفَهًا	أنْ يَجْمَعُوهُ إلى الإسْلامِ فِي كَمَمِ
202	كالنّارِ في الماءِ أو طُهْرٍ على حَدَثٍ	في وقتِهِ أوْ إخاءِ الذِّئْبِ والغَنَمِ

خاتمــــةٌ في تحــــصيلِ ثَمَـــرَاتِ العِلْـــمِ النافِعَـــةِ
واجْتِناءِ قُطوفِهِ الدَّانِيَةِ اليانِعَة

203	وَحَاصِلُ العِلْمِ ما أُمْلِي الصِّفَاتِ لَهُ	فَأَصْغِ سَمْعَكَ واسْتَنْصِتْ إلَى كَلِمِي
204	وَذَاكَ لَا حِفْظُكَ الفُتْيا بِأحْرُفِها	وَلَا بِتَسْوِيدِكَ الْأَوْرَاقَ بِالْحُمَمِ
205	وَلَا تَصَدُّرُ صَدْرِ الْجمْعِ مُحْتَبِيًا	تُمْلِيهِ لَمْ تَفْقَهِ الْمَعْنِيَّ بالكَلِمِ
206	ولا العِمَامَةُ إذْ تُرخِي ذُؤابَتَها	تَصَنُّعًا وخِضاب الشيْبِ بالْكَتَمِ
207	ولا بِقَوْلكِ يعني دائبًا ونَعَمْ	كَلا ولا حَمْلكَ الأسْفارَ كالْبَهِمِ
208	ولا بِحَمْلِ شهاداتٍ مُبَهْرَجَةٍ	بِزُخْرُفِ القَوْلِ مِن نَثْرٍ ومُنْتَظِمِ

209	بلْ خَشْيَةُ اللهِ في سِرٍّ وفِي عَلَنِ	فاعْلَمْ هيَ العِلْمُ كلُّ العِلْمِ فالْتَزِمِ
210	فَلْتعْرِفِ اللهَ ولْتَذْكُرْ تَصَرُّفَهُ	ومَا عَلى عِلْمِهِ قد خُطَّ بالقَلَمِ
211	وحَقَّهُ اعْرِفْ وقُمْ حَقًّا بِمُوجبِهِ	ومَنْهَجَ الْحَقِّ فَاسْلُكْ عَنْهُ غَيْرَ عَمِي
212	أشْقَى وأسْعَدَ مُخْتَارًا أضَلَّ هَدَى	أدْنى وأبْعَدَ عَدْلا مِنْهُ فِي القِسَمِ
213	أوْحَى وأرْسل وصَّى آمِرا ونَهَى	أَحَلَّ حَرَّمَ شَرْعًا كَامِلَ الْحِكَمِ
214	يُحِبُّ الِاحْسَانَ والعِصْيانَ يَكْرَهُهُ	والْبِرَّ يَرْضاهُ معْ سُخْطٍ لِحُرْمِهِمِ
215	بِمُقْتَضَى ذَيْنِ فِي الدّارَيْنِ مُطَّرِدٌ	لا ظُلْمَ يُخْشَى ولا خَيْرٌ بِمُنْهَضِمِ
216	فاعْمَلْ عَلى وَجَلٍ وادْأَبْ إلَى أجَلٍ	واعْزِلْ عن اللهِ سُوءَ الظنِّ والتُّهَمِ
217	للشَّرْعِ فانْقَدْ وسَلِّمْ لِلقَضَاءِ ولَا	تُخَاصِمَنَّ بِه كالْمُلْحِدِ الْخَصِمِ
218	وبالْمَقادِيرِ كُنْ عَبْدًا لِمَالِكِهِ	وعابِدًا مُخْلِصًا فِي شَرْعِهِ القِيَمِ
219	إيَّاهُ فاعْبُدْ وإيَّاهُ اسْتَعِنْ فَبِذَا	تَصِلْ إلَيْهِ وإلا حُرْتَ فِي الظُّلَمِ
220	وخُذْ بالَاسْبابِ واسْتَوْهِبْ مُسَبِّبَها	وثِقْ بِهِ دُونَها تُفْلِحْ ولَمْ تُضَمِ
221	بالشَّرْعِ زِنْ كُلَّ أمْرٍ ما هَمَمْتَ بِهِ	فإنْ بَدَا صالِحًا أقْدِمْ ولا تَجِمِ
222	أخْلِصْهُ واصْدُقْ أصِبْ واهْضِمْ فَذِي شُرِطَتْ	فِي صالِحِ السَّعْيِ أوْ فِي طَيِّبِ الكَلِمِ
223	أخْلِصْهُ للهِ واصْدُقْ عازِمًا وأصِبْ	صِرَاطَهُ واهْضِمَنَّ النّفْسَ تَنْهَضِمِ
224	لا تُعْجَبَنَّ بِهِ يُحبَطُ ولا تَرَهُ	فِي جانبِ الذنْبِ والتقْصِيرِ والنِّعَمِ
225	وحيثُ كانَ مِن النّهْيِ اجْتَنِبْهُ وإنْ	زَلَلْتَ تُبْ منهُ واسْتَغْفِرْ معَ النَّدَمِ
226	وَأَوْقِفِ النفْسَ عندَ الأمرِ هلْ فَعَلَتْ	والنّهْيِ هلْ نَزَعَتْ عن موجبِ النِّقَمِ
227	فإنْ زَكَتْ فاحْمَدِ الْمَوْلَى مُطَهِّرَها	ونِعْمَةَ اللهِ بالشُّكْرانِ فاسْتَدِمِ
228	وإنْ عَصَتْ فاعْصِها واعْلَمْ عَدَاوَتَها	وحَذِّرَنْها وُرُودَ الْمَوْرِدَ الوَخِمِ
229	وانْظُرْ مَخازِيَ الْمُسيئينَ التي أُخِذُوا	بِها وحَاذِرْ ذُنوبًا مِن عِقابِهِمِ
230	والْزَمْ صِفاتِ أولِي التّقوَى الذينَ بِها	عَلَيْهِمُ اللهُ أثْنَى واقْتَدِهْ بِهِمِ

231	واقْنُتْ وبينَ الرَّجَا والْخَوْفِ قُمْ أبدًا	تَخْشَى الذنُوبَ وتَرْجُو عَفْوَ ذَي الكَرَمِ
232	فالخوفُ ما أوْرَثَ التقوَى وحَثَّ عَلى	مَرْضاةِ رَبِّي وهَجْرِ الإِثْمِ والأَثِمِ
233	كَذا الرَّجَا ما عَلى هذا يحِثُّ لِتَصْ	دِيقٍ بِمَوْعودِ رَبِّي بالْجَزَا العَظِمِ
234	والْخَوْفُ إنْ زادَ أفْضَ لِلْقُنُوطِ كَمَا	يُفْضِي الرَّجاءُ لأَمْنِ الْمَكْرِ والنِّقَمِ
235	فَلا تُفَرِّطْ ولا تُفْرِطْ وكُنْ وَسَطًا	وَمِثْلَ مَا أمَرَ الرَّحْمَنُ فاسْتَقِمِ
236	سَدِّدْ وقارِبْ وأَبْشِرْ واسْتَعِنْ بِغُدو	وٍ والرّواحِ وأَدْلِجْ قاصِدًا ودُمِ
237	فمِثْل ما خَانَتِ الكسْلانَ هِمَّتُهُ	فَطَالَمَا حُرِمَ الْمُنْبَتُّ بالسَّأَمِ
238	ودُمْ عَلى البَاقِياتِ الصَّالِحاتِ وحَوْ	قِلْ واسْأَلِ اللهَ رِزْقًا حُسْنَ مُخْتَتَمِ
239	واضْرَعْ إلى اللهِ في التَّوْفِيقِ مُبْتَهِلًا	فَهْوَ الْمُجِيبُ وأَهْلُ الْمَنِّ والْكَرَمِ
240	يا رَبِّ يا حيُّ يا قيومُ مَغْفِرَةً	لِمَا جَنَيْتُ مِنَ العِصْيانِ واللَّمَمِ
241	وامْنُنْ عَلَيَّ بِمَا يُرْضيكَ واقْضِهِ لِي	مِنِ اعْتِقادٍ ومِنْ فِعْلٍ ومِنْ كَلِمِ
242	وأَعْلِ دينَكَ وانْصُرْ ناصِريهِ كَمَا	وَعَدْتَهُمْ ربَّنا فِي أصْدَقِ الكَلِمِ
243	واقسِمْ بِبَأْسِكَ رَبِّ حِزْبَ خاذِلِهِ	ورُدَّ كَيْدَ الأعادِي فِي نُحُورِهِمِ
244	واشْدُدْ عَلَيْهِمْ بِزِلْزَالٍ ودَمْدَمَةٍ	كمَا فَعَلْتَ بأَهْلِ الْحِجْرِ فِي القِدَمِ
245	واجْعَلْهُمُو رَبَّنا لِلْخَلْقِ مَوْعِظَةً	وعِبْرَةً يا شَدِيدَ البَطْشِ والنِّقَمِ
246	ثم الصَّلاةُ عَلى الْمَعْصومِ مِنْ خَطَإٍ	مُحَمَّدٍ خَيْرِ رُسْلِ اللهِ كُلِّهِمِ
247	والآلِ والصَّحْبِ ثَمَّ التابعينَ لَهُمْ	وتَـــمَّ نَظْمِي بِحَمْدِ اللهِ ذِي النِّعَمِ

أُصُولُ السُّنَّةِ

لِلإِمَامِ أَحْمَدِ بنِ حَنْبَلَ الشَّيْبَانِيِّ

- رَحِمَهُ اللَّهُ -

شرح الشيخ الدكتور

علي بن يحيى الحدادي

حفظه الله

أُصُولُ السُنَّةِ

لِلإِمَامِ أَحْمَدَ بنِ حَنبَلَ الشَّيْبَانِيِّ

-رَحِمَهُ اللهُ-

قال أبو يَعْلَى الحَنْبَلِيِّ: «لَوْ رُحِلَ إِلَى الصِّينِ فِي طَلَبِهَا لَكَانَ قَلِيلاً» وَهِيَ مِنْ رِوَايَةِ عَبْدُوس بن مَالِكٍ العَطَّار.

قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ أَحْمَدَ بن مُحَمَّدَ بن حَنْبَلَ يَقُولُ:

أصولُ السُّنَّةِ عندنَا: التَّمَسُّكُ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ أصْحَابُ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والإقْتِدَاءُ بِهِمْ، وَتَرْكُ البِدَع، وَكُلُّ بِدْعَةٍ فَهِيَ ضَلالَةٌ، وَتَرْكُ الخُصُومَاتِ وَتَرْكُ الجُلُوسِ مَعَ أصْحَابِ الأهْوَاءِ، وَتَرْكُ المِرَاءِ والجِدَالِ، وَالخُصُومَاتِ فِي الدِّين.

والسُّنَّةُ عِنْدَنَا: آثَارُ رَسُولِ اللهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، والسُّنَّةُ تُفَسِّرُ القُرْآنَ، وَهِيَ دَلائِلُ القُرْآنِ، وَلَيْسَ فِي السُّنَّةِ قِيَاسٌ، وَلا تُضْرَبُ لَهَا الأَمْثَالُ، وَلا تُدْرَكُ بِالعُقُولِ وَلا الأَهْوَاءِ، إنَّمَا هُوَ الإتِّبَاعُ وتَرْكُ الهَوَى.

.....
.....
.....

ومن السُّنَّةِ اللَّازمةِ الَّتِي مَنْ تَرَكَ مِنْهَا خَصْلَةً -لم يَقْبَلْهَا ويُؤْمِنْ بهَا، لَم يَكُنْ مِنْ أَهْلِهَا: الإيمَانُ بالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، والتَّصْدِيقُ بالأَحَادِيثِ فِيهِ، وَالإِيمَانُ بهَا لا يُقَالُ:لِمَ ؟ولاكَيْفَ؟ إنَّمَا هُوَ التَّصْدِيقُ بهَا وَالإِيمَانُ بهَا.
ومَنْ لَمْ يَعْرِفْ تَفْسِيْرَ الحَدِيثِ ويَبلُغْهُ عَقْلُهُ فَقَد كُفِيَ ذَلِكَ وأُحْكِمَ لَهُ، فَعَلَيْهِ الإِيمَانُ بِهِ وَالتَّسْلِيمُ لَهُ، مِثلَ حَدِيثِ: الصَّادِقِ المَصْدُوق ومِثلَ مَا كَانَ مِثْلَه في القَدَرِ، وَمِثْلَ أحاديث الرُّؤيةِ كُلِّهَا وإن نَبَتْ عَنِ الأَسْمِاعِ واسْتَوحَشَ مِنْهَا المُستَمِعُ، فإنَّمَا عَلَيهِ الإِيمَانُ بهَا، وَأَنْ لا يَرُدَّ مِنْهَا حَرْفاً وَاحِداً وغَيرِهَا مِنَ الأَحَادِيثِ المَأْثُورَاتِ عن الثِّقَاتِ .
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....

.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....

وأنْ لا يُخَاصِمَ أحَداً ولا يُنَاظِرَهُ، ولا يَتَعَلَّمَ الجِدَالَ، فإنَّ الكَلامَ في القَدَرِ والرُّؤْيَةِ وَالقُرْآنِ وغَيْرِهَا مِنَ السُّنَنِ مَكْرُوهٌ مَنهِيٌّ عَنهُ، وَلا يَكُونُ صَاحِبُهُ -إنْ أصَابَ بكَلامِهِ السُّنَّةَ- مِنْ أهْلِ السُّنَّةِ حَتَّى يَدَعَ الجِدَالَ ويُسَلِّمَ، وَيُؤْمِنَ بالآثار.

والقُرآنُ كَلامُ اللهِ ولَيْسَ بمَخْلُوقٍ وَلا يَضْعُفُ أنْ يَقُولَ:لَيْسَ بمَخْلُوقٍ، قالَ:فإنَّ كَلامَ اللهِ مِنْهُ وَلَيْسَ ببَائِنٍ مِنْهُ، وَلَيْسَ مِنْهُ شَيءٌ مَخْلُوقٌ، وإيَّاكَ ومُنَاظَرَةُ مَنْ أحْدَثَ فِيهِ وَمَنْ قالَ باللَّفْظِ وَغَيْرِهِ، وَمَنْ وَقفَ فِيهِ فَقَالَ:لا أدْري، مَخْلُوقٌ أوْ لَيْسَ بمَخْلُوقٍ وإنمَا هُوَ كَلامُ اللهِ فَهَذَا صَاحِبُ بدْعَةٍ مِثْلَ مَنْ قالَ:هُوَ مَخْلُوقٌ وإنَّمَا هُوَ كَلامُ اللهِ وَلَيْسَ بمَخْلُوقٍ.

.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

وَالإِيمَانُ بالرُّؤْيَةِ يَوْمَ القِيَامَةِ كَمَا رُوِيِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الأَحَادِيثِ الصِّحَاحِ، وأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ رَأَى رَبَّهُ، فَإِنَّهُ مَأْثُورٌعَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَحِيحٌ، قَدْ رَوَاهُ قَتَادَةُ عَنْ عِكْرِمَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَرَوَاهُ الحَكَمُ بنُ أَبَانَ عَن عِكْرِمَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَرَوَاهُ عَلِيٌّ بنُ زَيْدٍ عَنْ يُوسُفَ بنِ مِهْرَانَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ.

وَالحَدِيثُ عِنْدَنَا عَلَى ظَاهِرِهِ كَمَا جَاءَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالكَلامُ فِيهِ بِدْعَةٌ، وَلَكِنْ نُؤْمِنُ بِهِ كَمَا جَاءَ عَلَى ظَاهِرِهِ وَلا نُنَاظِرُ فِيهِ أَحَداً.

....

....

....

.....
.....
.....

وَالإيمَانُ بالمِيزَانِ يَوْمَ القِيَامَةِ، كَمَا جَاءَ (يُوزَنُ العَبْدُ يَوْمَ القِيَامَةِ فَلا يَزِنُ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ) وَتُوزَنُ أعْمَالُ العِبَادِ كَمَا جَاءَ فِي الأثَرِ، والإيمَانُ بِهِ والتَّصْدِيقُ بِهِ وَالإعْرَاضُ عَنْ مَنْ رَدَّ ذَلِكَ وَتَرْكُ مُجَادَلَتِهِ.

وَأنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُكَلِّمُ العِبَادَ يَوْمَ القِيَامَةِ لَيْسَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانُ، والإيمَانُ بِهِ وَالتَّصْدِيقُ بِهِ.

وَالإيمَانُ بالحَوْضِ، وَأنَّ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَوْضَاً يَوْمَ القِيَامِةِ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتُهُ، عَرْضُهُ مِثْلُ طُولِهِ مَسِيرَةُ شَهْرٍ، آنِيَتُهُ كَعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ عَلَى مَا صَحَّتْ بِهِ الأخْبَارُ مَنْ غَيْرِ وَجْهٍ.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....

وَالإيمَانُ بعَذَابِ القَبْرِ، وَأَنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ تُفْتَنُ فِي قُبُورِهَا وَتُسْأَلُ عَنِ الإِيمَانِ وَالإِسْلامِ، وَمَنْ رَبُّهُ؟وَمَنْ نَبِيُّهُ؟

وَيَأْتِيهِ مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ كَيْفَ شَاءَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَكَيْفَ أَرَادَ، وَالإِيمَانُ بِهِ وَالتَّصْدِيقُ بِهِ.

وَالإِيمَانُ بِشَفَاعَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبِقَوْمٍ يُخْرَجُونَ مِنَ النَّارِ بَعْدَمَا احْتَرَقُوا وَصَارُوا فَحْماً؛فَيُؤْمَرُ بِهِمْ إِلَى نَهْرٍ عَلَى بَابِ الجَنَّةِ، كَمَا جَاءَ فِي الأَثَرِ، كَيْفَ شَاءَ اللهُ وَكَمَا شَاءَ، إِنَّمَا هُوَ الإِيمَانُ بِهِ وَالتَّصْدِيقُ بِهِ.

وَالإِيمَانُ أَنَّ المَسِيحَ الدَّجَّالَ خَارِجٌ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ، وَالأَحَادِيثُ الَّتِي جَاءَتْ فِيهِ، وَالإِيمَانُ بِأَنَّ ذَلِكَ كَائِنٌ، وَأَنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ يَنْزِلُ، فَيَقْتُلُهُ بِبَابِ لُدٍّ.

.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

وَالإيمَـانُ:قَـوْلٌ وَعَمَـلٌ، يَزِيـدُ وَيَـنْقُصُ، كَمَـا جَـاءَ فـي الخَبَـرِ(أَكْمَـلُ المُؤْمِنِينَ، إِيمَاناً أَحْسَنُـهُمْ خُلُقاً).

وَمَنْ تَرَكَ الصَّلاةَ فَقَدْ كَفَـرَ وَ لَـيْسَ مِـنَ الأَعْمِـالِ شَـيءٌ تَرْكُـهُ كُفْرٌ إِلا الصَّلاةُ مَنْ تَرَكَهَا فَهُوَ كَافِرٌ، وَقَدْ أَحَلَّ اللهُ قَتْلَهُ.

....

....

....

....

....

....

....

....

....

.....
.....
.....

وَخَيْرُ هَذِهِ الأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا أَبُو بَكْرِ الصِّدِّيقُ، ثُمَّ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ، ثُمَّ عُثْمَانُ بنُ عَفَّانَ، نُقدِّمُ هَؤُلاءِ الثَّلاثةِ كَمَا قدَّمَهُمْ أصْحَابُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لمْ يَخْتَلِفُوا في ذَلِكَ.

ثمَّ بَعْدَ هَؤُلاءِ الثَّلاثةِ أصْحَابُ الشُّورَى الخَمْسَةُ: عَلِيٌّ بنُ أبي طَالِبٍ ، وَطَلْحَةُ، وَالزُّبَيْرُ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَوْفٍ، وَسَعْدُ بنُ أبي وَقَّاصٍ، وَكُلُّهُمْ يَصْلُحُ لِلْخِلافَةِ، وكلُّهُمْ إمَامٌ، ونَذْهَبُ إلى حَدِيثِ ابنِ عُمَرَ: "كُنَّا نَعُدُّ وَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيٌّ وَأصْحَابُهُ مُتَوَافِرُونَ:أبُو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، ثُمَّ نَسْكُتُ" ثُمَّ مِنْ بَعْدِ أصْحَابِ الشُّورَى أهْلُ بَدْرٍ مِنَ المُهَاجِرِينَ.

ثُمَّ أهْلُ بَدْرٍ مِنَ الأنْصَارِ مِنْ أصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى قدْرِ الهِجْرَةِ وَالسَّابِقَةِ أوَّلاً فَأوَّلاً.

ثمَّ أفْضَلُ النَّاسِ بَعْدَ هَؤُلاءِ أصْحَابُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القَرْنُ الَّذِي بُعِثَ فِيهِم، كُلُّ مَنْ صَحِبَهُ سَنَةً أوْ شَهْراً أوْ يَوْماً أوْ سَاعَةً أوْ رَآهُ فَهُوَ مِنْ أصْحَابِهِ لَهُ مِنَ الصُّحْبَةِ عَلَى قدْرِ مَا صَحِبَهُ، وَكَانَتْ سَابِقَتُهُ مَعَهُ وَسَمِعَ مِنْهُ وَنَظَرَ إلَيْهِ نَظْرَةً، فَأدْنَاهُمْ صُحْبَةً هُوَ أفْضَلُ مِنَ القَرْنِ الَّذِينَ لَمْ يَرَوْهُ، وَلَوْ لَقُولِ اللهَ بجَمِيعِ الأعْمَالِ؛ كَانَ هَؤُلاءِ الَّذِينَ صَحِبُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَرَأوْهُ وَسَمِعُوا مِنْهُ، وَمَنْ رَآهُ بِعَيْنِهِ وَآمَنَ بِهِ وَلَوْ سَاعَةً أفْضَلُ لِصُحْبَتِهِ مِنَ التَّابِعِينَ وَلَوْ عَمِلُوا كُلَّ أعْمَالِ الخَيْرِ.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....

وَالسَّمْعُ وَالطَّاعَةُ لِلأَئِمَّةِ، وَأَمِيرُ المُؤْمِنِينَ، البَرُّ وَالفَاجِرُ، وَمَنْ وَلِيَ الخِلافَةَ، فَاجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَيْهِ، وَرَضُوا بِهِ، وَمَنْ غَلَبَهُمْ بِالسَّيْفِ حَتَّى صَارَ خَلِيفَةً وَسُمِّيَ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ.

وَالْغَزْوُ مَاضٍ مَعَ الأُمَرَاءِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، البَرُّ وَالفَاجِرُ، لا يُتْرَكُ، وَقِسْمَةُ الفَيْءِ، وَإِقَامَةُ الحُدُودِ إِلَى الأَئِمَّةِ مَاضٍ، لَيْسَ لأَحَدٍ أَنْ يَطْعَنَ عَلَيْهِمْ، وَلا يُنَازِعُهُمْ، وَدَفْعُ الصَّدَقَاتِ إِلَيْهِمْ جَائِزَةٌ وَنَافِذَةٌ، مَنْ دَفَعَهَا إِلَيْهِمْ أَجْزَأَتْ عَنْهُ، بَرًّا كَانَ أَوْ فَاجِراً، وَصَلاةُ الجُمُعَةِ خَلْفَهُ، وَخَلْفَ مَنْ وَلاهُ جَائِزَةٌ بَاقِيَةٌ تَامَّةٌ رَكْعَتَيْنِ، مَنْ أَعَادَهُمَا فَهُوَ مُبْتَدِعٌ، تَارِكٌ لِلآثَارِ، مُخَالِفٌ لِلسُّنَّةِ، لَيْسَ لَهُ مِنْ فَضْلِ الجُمُعَةِ شَيءٌ؛إِذَا لَمْ يَرَ الصَّلاةَ خَلْفَ الأَئِمَّةِ مَنْ كَانُوا: بَرِّهم وفاجرهم فَالسُّنَّةُ أَنْ تُصَلِّيَ مَعَهُمْ رَكْعَتَيْنِ، مَنْ أَعَادَهُمَا فَهُوَ مُبْتَدِعٌ، وَيَدِينُ بِأَنَّهَا تَامَّتٌ، لا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ مِنْ ذَلِكَ شَكٌّ.

.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

وَمَنْ خَرَجَ عَلَى إِمَامٍ مِنْ أَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ، وَقَدْ كَانَ النَّاسُ اجْتَمَعُوا عَلَيْهِ، وَأَقَرُّوا لَهُ بِالخِلافَةِ، بِأَيِّ وَجْهٍ كَانَ بِالرِّضَا أَوْ بِالغَلَبَةِ فَقَدْ شَقَّ هَذَا الخَارِجُ عَصَا المُسْلِمِينَ، وَخَالَفَ الآثَارَ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنْ مَاتَ الخَارِجُ عَلَيْهِ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً، وَلا يَحِلُّ قِتَالُ السُّلْطَانِ وَلا الخُرُوجُ عَلَيْهِ لأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَهُوَ مُبْتَدِعٌ عَلَى غَيْرِ السُّنَّةِ وَالطَّرِيقِ.

....

....

....

....

....

....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

وَقِتَالُ اللُّصُوصِ وَالخَوَارِجِ جَائِزٌ إِذَا عَرَضُوا لِلرَّجُلِ فِي نَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَلَهُ أَنْ يُقَاتِلَ عَنْ نَفْسِهِ وَمَالِهِ، وَيَدْفَعُ عَنْهَا بِكُلِّ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ، وَلَيْسَ لَهُ إِذَا فَارَقُوهُ أَوْ تَرَكُوهُ أَنْ يَطْلُبَهُمْ، وَلَا يَتَّبِعَ آثَارَهُمْ، لَيْسَ لأَحَدٍ إِلا الإِمَامُ أَوْ وُلاةِ المُسْلِمِينَ، إِنَّمَا لَهُ أَنْ يَدْفَعَ عَنْ نَفْسِهِ فِي مَقَامِهِ ذَلِكَ، وَيَنْوِي بِجَهْدِهِ أَنْ لا يَقْتُلَ أَحَداً؛ فَإِنْ أَتَى عَلَيْهِ فِي دَفْعِهِ عَنْ نَفْسِهِ فِي المَعْرَكَةِ فَأَبْعَدَ اللهُ المَقْتُولَ، إِنْ قُتِلَ هَذَا فِي تِلْكَ الحَالِ وَهُوَ يَدْفَعُ عَنْ نَفْسِهِ وَمَالِهِ رَجَوتُ لَهُ الشَّهَادَةَ كَمَا جَاءَ فِي الأَحَادِيثِ.

وَجَمِيعُ الآثَارِ فِي هَذَا إِنَّمَا أُمِرَ بِقِتَالِهِ، وَلَمْ يُأْمَرْ بِقَتْلِهِ، وَلا اتِّبَاعِهِ، وَلا يُجْهِزْ عَلَيْهِ إِنْ صُرِعَ أَوْ كَانَ جَرِيحَاً، وَإِنْ أَخَذَهُ أَسِيراً فَلَيْسَ لَهَ أَنْ يَقْتُلَهُ، وَلا يُقِيمُ عَلَيْهِ الحَدَّ، وَلَكِنْ يَرْفَعُ أَمْرَهُ إِلَى مَنْ وَلاهُ اللهُ فَيَحْكُمُ فِيهِ.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....

وَلا نَشْهَدُ عَلَى أحَدٍ مِنْ أهْلِ القِبْلَةِ بعَمَلٍ يَعْمَلُهُ بجَنَّةٍ وَلا نَارٍ، نَرْجُو لِلصَّالِحِ وَنَخَافُ عَلَيْهِ، وَنَخَافُ عَلَى المُسِيءِ المُذْنِبِ وَنَرْجُو لَهُ رَحْمَةَ اللهِ.

وَمَنْ لَقِيَ اللهَ بذَنْبٍ تَجِبُ لَهُ بِهِ النَّارُ-تَائِباً غَيْرَ مُصِرٍ عَلَيْهِ-، فَإِنَّ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- يَتُوبُ عَلَيْهِ، وَيَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ.

وَمَنْ لَقِيَهُ وَقَدْ أُقِيمَ عَلَيْهِ حَدُّ ذَلِكَ الذَّنْبِ فِي الدُّنْيَا، فَهُوَ كَفَّارَتُهُ، كَمَا جَاءَ فِي الخَبَرِ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَمَنْ لَقِيَهُ مُصِرّاً غَيْرَ تَائِبٍ مِنَ الذُّنُوبِ الَّتِي قَدِ اسْتَوْجَبَ بِهَا العُقُوبَةَ؛ فَأَمْرُهُ إِلَى اللهِ-عَزَّ وَجَلَّ- إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ.

وَمَنْ لَقِيَهُ مِنْ كَافِرٍ عَذَّبَهُ وَلَمْ يَغْفِرْ لَهُ.

.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....

.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....

وَالرَّجْمُ حَقٌّ عَلَى مَنْ زَنَا وَقَدْ أُحْصِنَ إِذَا اعْتَرَفَ أَوْ قَامَتْ عَلَيْهِ بَيِّنَةٌ، وَقَدْ رَجَمَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَدْ رَجَمَتْ الأَئِمَّةُ الرَّاشِدُونَ.

وَمَنِ انْتَقَصَ أَحَداً مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَوْ أَبْغَضَهُ لِحَدَثٍ كَانَ مِنْهُ، أَوْ ذَكَرَ مَسَاوِئَهُ، كَانَ مُبْتَدِعاً حَتَّى يَتَرَحَّمَ عَلَيْهِمْ جَمِيعاً، وَيَكُونُ قَلْبُهُ لَهُمْ سَلِيماً.

.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....

.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....

وَالنِّفَاقُ هُوَ الكُفْرُ:أنْ يَكْفُرَ بِاللهِ وَيَعْبُدَ غَيْرَهُ، وَيُظْهِرَ الإِسْلامَ فِي العَلانِيَةِ، مِثْلَ المُنَافِقِينَ الَّذِينَ كَانُوا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَهَذِهِ الأَحَادِيثُ الَّتِي جَاءَتْ:(ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ فَهُوَ مُنَافِقٌ) هَذَا عَلَى التَّغْلِيظِ، نَرْوِيهَا كَمَا جَاءَتْ، وَلا نُفَسِّرُهَا.

وَقَولُهُ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:(لا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّاراً ضُلاَّلاً يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ)، وَمِثْلُ:(إِذَا الْتَقَى المُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالقَاتِلُ وَالمَقْتُولُ فِي النَّارِ)، وَمِثْلُ:(سِبَابُ المُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ)، وَمِثْلُ:(

مَنْ قالَ لأخِيهِ:يَا كَافِرٌ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أحَدُهُمَا) وَمِثْلُ: (كُفْرٌ بِاللهِ تَبْرُّؤٌ مِنْ نَسَبٍ وَإنْ دَقَّ)، وَنَحْوُ هَذِهِ الأحَادِيثِ مِمَّا قَدْ صَحَّ وَحُفِظَ، فَإنَّا نُسَلِّمُ لَهُ، وَإنْ لَمْ نَعْلَمْ تَفْسِيرَهَا، وَلا نَتَكَلَّمُ فِيهِ، وَلا نُجَادِلُ فِيهِ، وَلا نُفَسِّرُ هَذِهِ الأحَادِيثَ إلاَّ بِمِثْلِ مَا جَاءَتْ، وَلا نَرُدُّهَا إلا بِأحَقَّ مِنْهَا.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

وَالجَنَّةُ وَالنَّارُ مَخْلُوقتَانِ قدْ خُلِقتَاكَمَا جَاءَ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :(دَخَلْتُ الجَنَّةَ فَرَأَيْتُ قصْراً)، (وَرَأَيْتُ الكَوْثَرَ) و (اطَّلَعْتُ فِي الجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا.....كَذَا) و (وَاطَّلَعْتُ فِي النَّار، فَرَأَيْتُ.....كَذَا وَرَأَيْتُ كَذَا)، فَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُمَا لَمْ تُخْلَقَا فَهُوَ مُكَذِّبٌ بِالقُرْآنِ، وَأَحَادِيثُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلا أَحْسَبُهُ يُؤْمِنُ بِالجَنَّةِ وَالنَّار.

وَمَنْ مَاتَ مِنْ أَهْلِ القِبْلَةِ مُوَحِداً، يُصَلَّى عَلَيْهِ وَيُسْتَغْفَرُ لَهُ، وَلا يُحْجَبُ عَنْهُ الاسْتِغْفَارُ، وَلا نُتْرَكُ الصَّلاةَ عَلَيْهِ لِذَنْبٍ أَذْنَبَهُ -صَغِيراً كَانَ أَوْ كَبِيراً- وَأَمْرُهُ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

تمت

....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

نُخْبَةُ الفِكَرِ

للحافِظْ ابنُ حَجَرَ

رحِمَهُ اللَّهُ

شرح الشيخ الدكتور

محمد ابن هادي المدخلي

حفظه الله

قالَ الحَافِظُ أحمدُ بنُ علي بنِ حجرٍ العَسْقلاني رحمَهُ اللهُ تعالى:

الحمدُ للهِ الذي لَمْ يَزَلْ عَليماً قديراً وصلّى اللهُ عَلى سَيدِنا مُحَمَّدٍ الذي أرْسَلَهُ إلى النَّاسِ كافةً بَشيراً ونَذيراً، وعلى آلِ محمدٍ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ تَسْليماً كثيراً، أمَّا بَعْدُ:

فإنَّ التَّصانيفَ في اصْطِلاحِ أَهلِ الحَديثِ قَدْ كَثُرَتْ وبُسِطَتْ واخْتُصِرَتْ ، فسأَلَني بَعْضُ الإِخوانِ أَنْ أُلَخِصَ لهُ المُهِمَّ مِنْ ذَلكَ، فأَجَبْتُه إلى سُؤالِهِ ؛ رجاءَ الاندِراجِ في تلكَ المسالِكِ فأقولُ:

الخَبَرُ إمَّا أنْ يكُونَ لَهُ طُرُقٌ بلاَ عَددٍ
أو مَعَ حَصْرٍ بما فَوْقَ الاثنَيْنِ أو بهما أو بواحِدٍ.
فالأوَّلُ المُتواتِرُ المُفيدُ للعِلْمِ اليَقينِيِّ بشروطِهِ.
والثَّاني المَشْهورُ وهُوَ المُستفيضُ عَلى رأيٍ.
والثَّالِثُ: العَزيزُ ولَيْسَ شَرْطاً للصَّحيحِ ؛ خِلافاً لمَنْ زعَمَهُ.
والرَّابعُ: الغَريبُ.
وكُلُّها سوى الأوَّلِ آحادٌ.
وفيها المَقْبولُ والمَرْدُودُ لتوقُّفِ الاستدلالِ بها عَلى البَحْثِ عَنْ أحوالِ رواتِها، دُونَ الأوَّلِ.

وقد يَقعُ فيها مَا يُفيدُ العِلْمَ النَّظريَّ بالقرائِنِ؛ عَلى المُختارِ.

ثُمَّ الْغَرَابَةُ: إمَّا أنْ تَكُونَ فِي أصْلِ السَّنَدِ، أوْ لَا.

وَخَبَرُ الْآحَادِ بِنَقْلِ عَدْلٍ تَامِّ الضَّبْطِ، مُتَّصِلِ السَّنَدِ، غَيْرِ مُعَلَّلٍ وَلَا شَاذٍّ: هُوَ الصَّحِيحُ لِذَاتِهِ، وَتَتَفَاوَتُ رُتَبُهُ بِتَفَاوُتِ هَذِهِ الْأَوْصَافِ، وَمِنْ ثَمَّ قُدِّمَ صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ، ثُمَّ مُسلِمٍ، ثُمَّ شَرْطُهُمَا.

فَإِنْ خَفَّ الضَّبْطُ: فالْحَسَنُ لِذاتِهِ، وَبِكَثْرَةِ طُرُقِهِ يُصَحَّحُ، فَإِنْ جُمِعَا فَلِلتَّرَدُّدِ فِي النَّاقِلِ حَيْثُ التَّفَرُّدُ، وَإِلَّا فَباعْتِبَارِ إِسْنَادَيْنِ، وَزِيَادَةُ رَاوِيهِمَا مَقْبُولَةٌ مَا لَمْ تَقَعْ مُنَافِيَةً لِمَنْ هُوَ أوْثَقُ.

فَإِنْ خُولِفَ بِأَرْجَحَ فَالرَّاجِحُ الْمَحْفُوظُ، وَمُقَابِلُهُ الشَّاذُّ.

وَمَعَ الضَّعْفِ فَالرَّاجِحُ الْمَعْرُوفُ، وَمُقَابِلُهُ الْمُنْكَرُ.

وَالْفَرْدُ النِّسْبِيُّ: إِنْ وَافَقَهُ غَيْرُهُ فَهُوَ الْمُتَابِعُ، وَإِنْ وُجِدَ مَتْنٌ يُشْبِهُهُ فَهُوَ الشَّاهِدُ، وَتَتَبُّعُ الطُّرُقِ لِذَلِكَ هُوَ الِاعْتِبَارُ.

ثُمَّ الْمَقْبُولُ: إِنْ سَلِمَ مِنَ الْمُعَارَضَةِ فَهُوَ الْمُحْكَمُ.

وَإِنْ عُورِضَ بِمِثْلِهِ: فَإِنْ أَمْكَنَ الْجَمْعُ فَمُخْتَلِفُ الْحَدِيثِ.

أَوْ ثَبَتَ الْمُتَأَخِّرُ فَهُوَ النَّاسِخُ، وَالْآخَرُ الْمَنْسُوخُ، وَإِلَّا فَالتَّرْجِيحُ، ثُمَّ التَّوَقُّفُ.

ثُمَّ الْمَرْدُودُ: إِمَّا أَنْ يَكُونَ لِسَقْطٍ أَوْ طَعْنٍ.

فَالسَّقْطُ: إِمَّا أَنْ يَكُونَ مِنْ مَبَادِئِ السَّنَدِ مِنْ مُصَنِّفٍ، أَوْ مِنْ آخِرِهِ بَعْدَ التَّابِعِيِّ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ.

فَالْأَوَّلُ: الْمُعَلَّقُ.

وَالثَّانِي: هُوَ الْمُرْسَلُ.

وَالثَّالِثُ: إِنْ كَانَ بِاثْنَيْنِ فَصَاعِدًا مَعَ التَّوَالِي فَهُوَ الْمُعْضَلُ، وَإِلَّا فَالْمُنْقَطِعُ.

ثُمَّ قَدْ يَكُونُ وَاضِحًا أَوْ خَفِيًّا.

فَالْأَوَّلُ: يُدْرَكُ بِعَدَمِ التَّلَاقِي، وَمِنْ ثَمَّ احْتِيجَ إِلَى التَّأْرِيخِ.

ثُمَّ الطَّعْنُ: إِمَّا أَنْ يَكُونَ لِكَذِبِ الرَّاوِي، أَوْ تُهْمَتِهِ بِذَلِكَ، أَوْ فُحْشِ غَلَطِهِ، أَوْ غَفْلَتِهِ، أَوْ فِسْقِهِ، أَوْ وَهْمِهِ، أَوْ مُخَالَفَتِهِ، أَوْ جَهَالَتِهِ، أَوْ بِدْعَتِهِ، أَوْ سُوءِ حِفْظِهِ.

فَالْأَوَّلُ: الْمَوْضُوعُ، وَالثَّانِي: الْمَتْرُوكُ، وَالثَّالِثُ: الْمُنْكَرُ عَلَى رَأْيٍ، وَكَذَا الرَّابِعُ وَالْخَامِسُ.

ثُمَّ الْوَهْمُ: إِنِ اطُّلِعَ عَلَيْهِ بِالْقَرَائِنِ، وَجَمْعِ الطُّرُقِ: فَالْمُعَلَّلُ.

ثُمَّ الْمُخَالَفَةُ: إِنْ كَانَتْ بِتَغْيِيرِ السِّيَاقِ: فَمُدْرَجُ الْإِسْنَادِ، أَوْ بِدَمْجِ مَوْقُوفٍ بِمَرْفُوعٍ: فَمُدْرَجُ الْمَتْنِ، أَوْ بِتَقْدِيمٍ أَوْ تَأْخِيرٍ: فَالْمَقْلُوبُ.

أَوْ بِزِيَادَةِ رَاوٍ: فَالْمَزِيدُ فِي مُتَّصِلِ الْأَسَانِيدِ، أَوْ بِإِبْدَالِهِ وَلَا مُرَجِّحَ: فَالْمُضْطَرِبُ وَقَدْ يَقَعُ الْإِبْدَالُ عَمْدًا امْتِحَانًا، أَوْ بِتَغْيِيرٍ مَعَ بَقَاءِ السِّيَاقِ: فَالْمُصَحَّفُ وَالْمُحَرَّفُ.

وَلَا يَجُوزُ تَعَمُّدُ تَغْيِيرِ الْمَتْنِ بِالنَّقْصِ وَالْمُرَادِفِ إِلَّا لِعَالِمٍ بِمَا يُحِيلُ الْمَعَانِي، فَإِنْ خَفِيَ الْمَعْنَى احْتِيجَ إِلَى شَرْحِ الْغَرِيبِ وَبَيَانِ الْمُشْكِلِ.

ثُمَّ الْجَهَالَةُ: وَسَبَبُهَا أَنَّ الرَّاوِيَ قَدْ تَكْثُرُ نُعُوتُهُ فَيُذْكَرُ بِغَيْرِ مَا اشْتُهِرَ بِهِ لِغَرَضٍ، وَصَنَّفُوا فِيهِ الْمُوَضِّحَ.

وَقَدْ يَكُونُ مُقِلًّا فَلَا يَكْثُرُ الأَخْذُ عَنْهُ، وَصَنَّفُوا فِيهِ الوِحْدَانَ، أَوْ لَا يُسَمَّى اخْتِصارًا، وَفِيهِ الْمُبْهَمَاتُ، وَلَا يُقْبَلُ الْمُبْهَمُ وَلَوْ أَبْهِمَ بِلَفْظِ التَّعْدِيلِ عَلَى الْأَصَحِّ.

فَإِنْ سُمِّيَ وَانْفَرَدَ وَاحِدٌ عَنْهُ فَمَجْهُولُ الْعَيْنِ، أَوِ اثْنَانِ فَصَاعِدًا، وَلَمْ يُوَثَّقْ: فَمَجْهُولُ الحَالِ، وَهُوَ الْمَسْتُورُ.

ثُمَّ الْبِدْعَةُ: إِمَّا بِمُكَفِّرٍ، أَوْ بِمُفَسِّقٍ .

فَالْأَوَّلُ: لَا يُقْبَلُ صَاحِبَهَا الْجُمْهُورُ.

ثُمَّ سُوءُ الْحِفْظِ: إِنْ كَانَ لَازِمًا فَهُوَ الشَّاذُّ عَلَى رَأْيٍ، أَوْ طَارِئًا فَالْمُخْتَلِطُ، وَمَتَى تُوبِعَ سَيِّئُ الْحِفْظِ بِمُعْتَبَرٍ، وَكَذَا الْمَسْتُورُ وَالْمُرْسَلُ، وَالْمُدَلَّسُ: صَارَ حَدِيثُهُمْ حَسَنًا لَا لِذَاتِهِ، بَلْ بِالْمَجْمُوعِ.

ثُمَّ الْإِسْنَادُ: إِمَّا أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسِلَّمَ-، تَصْرِيحًا، أَوْ حُكْمًا: مِنْ قَوْلِهِ، أَوْ فِعْلِهِ، أَوْ تَقْرِيرِهِ.

أَوْ إِلَى الصَّحَابِيِّ كَذَلِكَ وَهُوَ: مَنْ لَقِيَ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- مُؤْمِنًا بِهِ، وَمَاتَ عَلَى الْإِسْلَامِ، وَلَوْ تَخَلَّلَتْ رِدَّةٌ فِي الْأَصَحِّ.

أَوْ إِلَى التَّابِعِيِّ: وَهُوَ مَنْ لَقِيَ الصَّحَابِيَّ كَذَلِكَ.

فَالْأَوَّلُ: الْمَرْفُوعُ ، وَالثَّانِي: الْمَوْقُوفُ، وَالثَّالِثُ: الْمَقْطُوعُ ، وَمَنْ دُونَ التَّابِعِيِّ فِيهِ مِثْلُهُ، وَيُقَالُ لِلْأَخِيرَيْنِ: الْأَثَرُ.

وَالْمُسْنَدُ: مَرْفُوعُ صَحَابِيٍّ بِسَنَدٍ ظَاهِرُهُ الْاتِّصَالُ.

فَإِنْ قَلَّ عَدَدُهُ: فَإِمَّا أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-، أَوْ إِلَى إِمَامٍ ذِي صِفَةٍ عَلِيَّةٍ كَشُعْبَةَ.

فَالْأَوَّلُ: الْعُلُوُّ الْمُطْلَقُ.

وَالثَّانِي: النِّسْبِيُّ.

وَفِيهِ الْمُوَافَقَةُ: وَهِيَ الْوُصُولُ إِلَى شَيْخِ أَحَدِ الْمُصَنِّفِينَ مِنْ غَيْرِ طَرِيقِهِ.

وَفِيهِ الْبَدَلُ: وَهُوَ الْوُصُولُ إِلَى شَيْخِ شَيْخِهِ كَذَلِكَ.

وَفِيهِ الْمُسَاوَاةُ: وَهِيَ اسْتِوَاءُ عَدَدِ الْإِسْنَادِ مِنَ الرَّاوِي إِلَى آخِرِهِ، مَعَ إِسْنَادِ أَحَدِ الْمُصَنِّفِينَ.

فَإِنْ تَشَارَكَ الرَّاوِي وَمَنْ رَوَى عَنْهُ فِي السِّنِّ وَاللُّقِيِّ فَهُوَ الْأَقْرَانُ.

وَإِنْ رَوَى كُلٌّ مِنْهُمَا عَنِ الْآخَرِ: فَالْمُدْبَجُ.

وَإِنْ رَوَى عَمَّنْ دُونَهُ: فَالْأَكَابِرُ عَنِ الْأَصَاغِرِ، وَمِنْهُ الْآبَاءُ عَنِ الْأَبْنَاءِ، وَفِي عَكْسِهِ كَثْرَةٌ، وَمِنْهُ مَنْ رَوَى عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ.

وَإِنِ اشْتَرَكَ اثْنَانِ عَنْ شَيْخٍ، وَتَقَدَّمَ مَوْتُ أَحَدِهِمَا، فَهُوَ: السَّابِقُ وَاللَّاحِقُ .

وَإِنْ رَوَى عَنْ اثْنَيْنِ مُتَّفِقِي الْاسْمِ، وَلَمْ يَتَمَيْزَا، فَبِاخْتِصَاصِهِ بِأَحَدِهِمَا يَتَبَيْنُ الْمُهْمَلُ.

وَإِنْ جَحَدَ مَرْوِيّهِ جَزْمًا: رُدَّ، أَوْ احْتِمَالًا: قُبِلَ فِي الْأَصَحِّ. وَفِيهِ: "مَنْ حَدَّثَ وَنَسِيَ".

وَإِنِ اتَّفَقَ الرُّوَاةُ فِي صِيَغِ الْأَدَاءِ، أَوْ غَيْرَهَا مِنَ الْحَالَاتِ، فَهُوَ الْمُسَلْسَلُ.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....

وَصِيَغُ الْأَدَاءِ: سَمِعْتُ وَحَدَّثَنِي، ثُمَّ أَخْبَرَنِي، وَقَرَأْتُ عَلَيْهِ، ثُمَّ قُرِئَ عَلَيْهِ وَأَنَا أَسْمَعُ، ثُمَّ أَنْبَأَنِي، ثُمَّ نَاوَلَنِي، ثُمَّ شَافَهَنِي. ثُمَّ كَتَبَ إِلَيَّ، ثُمَّ عَنْ، وَنَحْوَهَا.

فَالْأَوَّلَانِ: لِمَنْ سَمِعَ وَحْدَهُ مِنْ لَفْظِ الشَّيْخِ، فَإِنْ جَمَعَ فَمَعَ غَيْرِهِ، وَأَوَّلُهَا: أَصْرَحُهَا وَأَرْفَعُهَا فِي الْإِمْلَاءِ.

وَالثَّالِثُ، وَالرَّابِعُ: لِمَنْ قَرَأَ بِنَفْسِهِ، فَإِنْ جَمَعَ: فَكَالْخَامِسِ.

وَالْإِنْبَاءُ: بِمَعْنَى الْإِخْبَارُ؛ إِلَّا فِي عُرْفِ الْمُتَأَخِرِينَ فَهُوَ لِلْإِجَازَةِ كَعَنْ، وَعَنْعَنَةُ الْمُعَاصِرِ مَحْمُولَةٌ عَلَى السَّمَاعِ إِلَّا مِنْ مُدَلِّسٍ وَقِيلَ: يُشْتَرَطُ ثُبُوتُ لِقَائِهِمَا - وَلَوْ مَرَّةً، وَهُوَ الْمُخْتَارُ، وَأَطْلَقُوا الْمُشَافَهَةَ فِي الْإِجَازَةِ الْمُتَلَّفَظُ بِهَا، وَالْمُكَاتَبَةُ فِي الْإِجَازَةِ الْمَكْتُوبِ بِهَا، وَاشْتَرَطُوا فِي صِحَّةِ الْمُنَاوَلَةِ اقْتِرَانُهَا بِالْإِذْنِ بِالرِّوَايَةِ، وَهِيَ أَرْفَعُ أَنْوَاعِ الْإِجَازَةِ.

.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

ثُمَّ الرُّوَاةُ إِنِ اتَّفَقَتْ أَسْمَاؤُهُمْ، وَأَسْمَاءُ آبَائِهِمْ فَصَاعِدًا، وَاخْتُلِفَتْ أَشْخَاصُهُمْ: فَهُوَ الْمُتَّفِقُ وَالْمُفْتَرِقُ، وَإِنِ اتَّفَقَتِ الْأَسْمَاءُ خَطًّا، وَاخْتَلَفَتْ نُطْقًا: فَهُوَ الْمُؤْتَلِفُ وَالْمُخْتَلِفُ.

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....

وَإِنِ اتَّفَقَتِ الْأَسْمَاءُ وَاخْتَلَفَتِ الْآبَاءُ، أَوْ بِالْعَكْسِ: فَهُوَ الْمُتَشَابِهُ، وَكَذَا إِنْ وَقَعَ ذَلِكَ الِاتِّفَاقُ فِي الِاسْمِ وَاسْمِ الْأَبِ، وَالِاخْتِلَافُ فِي النِّسْبَةِ، وَيَتَرَكَّبُ مِنْهُ

وَمِمَّا قبْلَهُ أنْوَاعُ: مِنْهَا أنْ يَحْصُلَ الْاِتِّفَاقُ أوْ الْاِشْتِبَاهُ إلَّا فِي حَرْفٍ أوْ حَرْفَيْن. أوْ بِالتَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ أوْ نَحْوَ ذلِكَ.

....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....

.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....

وَمِـنَ الْمُهِـمِّ: مَعْرِفَـةُ طَبَقَـاتِ الـرُّوَاةِ وَمَوَالِيـدِهِمْ، وَوَفِيَـاتِهِمْ، وَبُلْـدَانِهِمْ، وَأَحْوَالِهِمْ تَعْدِيلًا وَتَجْرِيحًا وَجَهَالَةً.

وَمرَاتِبُ الْجَرْحِ: وَأَسْوَؤُهَا الْوَصْفُ بِأَفْعَلَ، كَأَكْذَبِ النَّـاسِ، ثُمَّ دَجَّـالٍ، أَوْ وَضَّاعٍ، أَوْ كَذَّابٍ.

وَأَسْهَلُهَا: لَيْنٌ، أَوْ سَيِّئُ الْحِفْظِ، أَوْ فِيهِ مَقَالٌ.

وَمرَاتِبُ التَّعْدِيلِ: وَأَرْفَعُهَا الْوَصْفُ بِأَفْعَلَ: كَأَوْثَقِ النَّاسِ، ثُمَّ مَا تَأَكَّدَ بِصِفَةٍ أَوْ صِفَتَيْنِ كَثِقَةٍ ثِقَةٍ، أَوْ ثِقَةٍ حَافِظٍ وَأَدْنَاهَا مَا أَشْعَرَ بِالْقُرْبِ مِنْ أَسْهَلِ التَّجْرِيحِ: كَشَيْخٍ، وَتُقْبَلُ التَّزْكِيَةُ مِنْ عَارِفٍ بِأَسْبَابِهَا، وَلَوْ مِنْ وَاحِدٍ عَلَى الْأَصَحِّ.

وَالْجَرْحُ مُقَدَّمٌ عَلَى التَّعْدِيلِ إِنْ صَدَرَ مُبَيِّنًا مِنْ عَارِفٍ بِأَسْبَابِهِ، فَإِنْ خَلَا عَنِ التَّعْدِيلِ قُبِلَ مُجْمَلًا عَلَى الْمُخْتَارِ.

.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....

.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....

وَمِنَ الْمُهِمِّ مَعْرِفَةُ كُنَى الْمُسَمَّينَ، وَأَسْمَاءِ الْمُكَنَّينَ، وَمَنِ اسْمُهُ كُنْيَتُهُ، وَمَنِ اخْتُلِفَ فِي كُنْيَتِهِ، وَمَنْ كَثُرَتْ كُنَاهُ أَوْ نُعُوتُهُ، وَمَنْ وَافَقَتْ كُنْيَتُهُ اسْمَ أَبِيهِ، أَوْ بِالْعَكْسِ، أَوْ كُنْيَتُهُ كُنْيَةُ زَوْجَتِهِ، وَمَنْ نُسِبَ إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ، أَوْ إِلَى أُمِّهِ، أَوْ إِلَى غَيْرِ مَا يَسْبِقُ إِلَى الْفَهْمِ، وَمَنِ اتَّفَقَ اسْمُهُ وَاسْمُ أَبِيهِ وَجَدِّهِ، أَوْ اسْمُ شَيْخِهِ وَشَيْخِ شَيْخِهِ فَصَاعِدًا، وَمَنِ اتَّفَقَ اسْمُ شَيْخِهِ وَالرَّاوِي عَنْهُ، وَمَعْرِفَةُ الْأَسْمَاءِ الْمُجَرَّدَةِ وَالْمُفْرَدَةِ، وَالْكُنَى، وَالْأَلْقَابِ، وَالْأَنْسَابِ، وَتَقَعُ إِلَى الْقَبَائِلَ وَالْأَوْطَانِ، بِلَادًا، أَوْ ضَيَاعًا أَوْ سِكَكًا، أَوْ مُجَاوِرَةً. وَإِلَى الصَّنَائِعَ وَالْحِرَفِ، وَيَقَعُ فِيهَا الْاتِّفَاقُ وَالْاشْتِبَاهُ كَالْأَسْمَاءِ، وَقَدْ تَقَعُ أَلْقَابًا.

وَمَعْرِفَةُ أَسْبَابِ ذَلِكَ، وَمَعْرِفَةُ الْمَوَالِي مِنْ أَعْلَى، وَمِنْ أَسْفَلَ، بِالرِّقِّ، أَوْ بِالْحَلِفِ، وَمَعْرِفَةُ الْإِخْوَةِ وَالْأَخَوَاتِ.

.....
.....
.....
.....
.....

....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
.. وَمَعْرِفَــــةُ

آدَابِ الـشَّيْخِ وَالطَّالِـبِ، وَسِـنِّ التَّحَمُّـلِ وَالْـأَدَاءِ، وَصِـفَةِ كِتَابَـةِ الْحَـدِيثِ وَعَرْضِـهِ، وَسَـمَاعِهِ، وَإِسْـمَاعِهِ، والرِّحْلَـةِ فِيـهِ، وَتَـصْنِيفِهِ، إِمَّـا عَلَـى الْمَسَانِيدِ، أَوْ الْأَبْوَابِ، أَوْ الْعِلَلِ، أَوْ الْأَطْرَافِ.

وَمَعْرِفَةُ سَبَبِ الْحَدِيثِ، وَقَدْ صَنَّفَ فِيهِ بَعْضُ شُيُوخِ القَاضِي أَبِي يَعْلَى بْنِ الْفَـرَّاءِ، وصَـنَّفُوا فِـي غَالِـبِ هَـذِهِ الْـأَنْوَاعِ، وَهِـيَ نَقْـلٌ مَحْـضٌ، ظَـاهِرَةُ

التَّعْرِيــفِ، مُــسْتَغْنِيَةٌ عَــنِ التَّمْثِيــلِ، وَحَــصْرُهَا مُتَعَــسِّرٌ، فَلْتُرَاجِــعْ لَهَــا مَبْسُوطَاتِهَا.

وَاللَّهُ الْمُوَفِّقُ وَالْهَادِي، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ.